

روايات مصرية للجيب
ما وراء الطبيعة
أسطورة
النافاراى
16
Looloo
www.dvd4arab.com

مقدمة

تحية لكم !..

هو ذا مضيفكم (رفعت إسماعيل) يواصل سرد حكاياته..

أنا الدكتور (رفعت إسماعيل) ، أستاذ أمراض الدم الذي يقترب - حثيثًا - من السبعين ، والذى لم يتزوج قط .. ، والذى قضى زهرة شبابه جوار توابيت مصاصى الدماء .. وفى الأقبية المسكونة .. والغابات التى يجوبها المذءوبون فى ضوء القمر ..

التفوا حولى ولا تخافوا ..

إن الليل ما زال فى أوله أو - كما يقول الإنجليز - ما زال الليل طفلًا .. ولدينا ساعات طويلة نقضيها معًا نرشف أقداح الشاى ونثرثر ..

فقط - عدونى - تحملوا نبرة صوتى الواهنة ، ورجفة أطرافى ، وسعالى المتحشرج .. وطبعًا رائحة التبغ التى تفوح من كل شىء فى عالمى ..

إن حديث الشيوخ ممتع أبدًا ..

لأنهم ـ وقد قاربوا الأبدية ـ دنوا أكثر من الحقيقة .. وتخففوا من القشور المملة السطحية .. ونسوا آفة التظاهر بالحكمة ..

أنا كنت صغيرًا يومًا ما وكنت أعشق ثرثرة الشيوخ فى الليل ..

سأحدثكم اليوم عن (النافاراى) ..

تذكرون ـ ولا شك ـ أسطورة الكاهن الأخير التى لم أستكملها بعد ، ولا أدرى السبب فى الواقع .. إننى أشيخ .. وذاكرتى تتداعى ، لكنى لم أنس التفاصيل قطعًا ..

لنقل إننى لم أنس القصة لكننى نسيت ضرورة حكايتها !..

والآن دعونا نستكملها وسامحونى على كل هذا التأخير ..

إن (هن ـ تشو ـ كان) عائد لكم .. فأفسحوا له مجالًا بينكم ..

فلننعش ذاكرتنا !

دعونى أذكركم بما حدث حتى لا أكلفكم مشقة البحث عن الكتيب الحادى عشر ، ومحاولة تذكر ما إذا كنتم قد وضعتموه على رف المكتبة .. أم فوق جهاز التلفاز .. أم تحت الفراش ، وما إذا كنتم قد أقرضتموه أم بعتموه .. أم استخدمتم أوراقه لتلميع مرآة الحمام .. أم ألقيتم به فى أقرب صندوق قمامة ؟..

لا ترهقوا أنفسكم ودعونى أعِدْ حكاية ما حدث ..

لقد تربى (هن ـ تشو ـ كان) فى أحد أديرة التبت ، بعد ما نذرته أمه لذلك الدير .. وهناك اصطلح على تسميته (الزهرة الزرقاء) لتفرّده ..

إن هذا الدير ليس بوذيًا .. بل هو خاص بعقيدة غريبة كانت سائدة فى القرن الخامس عشر هى عقيدة (النافاراى) ..

وفى الدير يدرك الصبى أن هؤلاء الرهبان يمارسون فنًا عجيبًا هو فن تفادى الخطر ، أو القتال السلبى .. ، ويكون عليه أن يخوض تدريبات قاسية مع الأخ (ميانج) يحرز فيها تقدمًا ملحوظًا ..

وتكون الذروة هى عبوره لنفق (النيران الراقصة) حيث الاختبار الحق لقدرته على التفادى ، وبالطبع ينجح نجاحًا مشرفًا ..

وهنا اسمحوا لى أن أقدم خصمه الحميم ـ أو صديقه اللدود ـ المدعو (جينغ ـ تشا) .. هو ليس نقيًا متبتلًا إلى هذا الحدّ .. وليس خصمًا شريفًا على الإطلاق .. سيأتى دوره المقيت بعد لحظات ..

وينتقل (هن ـ تشو ـ كان) إلى مرتبة أعلى ..

إذ يطلعه الكاهن الأكبر على كتاب (شوكارا) .. الكتاب الذى يمثل كل ما كانه (النافاراى) وكل ما سيكونونه .. إنه سرّ الأسرار وقدس الأقداس بالنسبة لهم ..

والآن يبدأ الفتى ـ الذى عرف هذا السرّ الكهنوتى ـ فى تعلّم القتال الإيجابى (سارايانا) ، ليتمكن من حماية الدير وحماية كل مقدساته ..

و (السارايانا) رياضة عسكرية معقدة قائمة على مهاجمة عدة مناطق حساسة فى جسد الخصم بعضها يؤدى للإغماء .. وبعضها يؤدى للشلل .. وبعضها ـ للخصم المتحمس حقًا ـ يؤدى للوفاة ..

لكن قواعد القتال تحتم إنذار الخصم أولًا بأن الـ (سارايانا) ستبدأ وقد أعذر من أنذر ..

★ ★ ★

وفى يوم كئيب يدرك الفتى أن خصمه (جينغ ـ تشا) قد تحالف مع كهنة الـ (ماهايانا) أعداء (النافاراى) الطبيعيين .. وثمن هذا التحالف هو كتاب الـ (شوكارا) ..

لقد مات كل (النافاراى) مسمومين بالشاى ..

ويكون على الفتى أن يفرّ بالكتاب الثمين بعيدًا ..

لقد صار هو الكاهن الأخير .. آخر (نافاراى) على وجه الأرض ، ولئن هلك هو أو أسلم الكتاب فلن يبقى أثر لهذه الفلسفة العظيمة إلى أبد الدهر ..

وفى الكتاب وجد أسلوبًا بديعًا ـ لكنه خطر ـ يُدعى (شاتكين) ..

يعمد أسلوب (الشاتكين) إلى نقل الفتى إلى زمن بعيد وأرض بعيدة غير محددين سلفًا .. ولكن الفتى لا يملك ترف الاختيار ..

ويفرّ .. يفرّ بعيدًا ..

إلى أرض لم يرها من قبل ، ووجوه سمراء لم يألفها قط ..

ونعرف نحن أنه وصل إلى (مصر) فى القرن العشرين .. إلى قرية (كفر بدر) قريتى الحبيبة ! (إنها مصادفة غير عادية لكننا اتفقنا على أن تصدقوها) ..

ويجيد الفتى التخفى متظاهرًا بأنه معتوه .. ويندمج فى أسرة أحد الخفراء وتنشأ علاقة حب مبتورة بينه وبين ابنة الخفير التى لم تصدق قط أنه ذلك الأبله الذى يدعيه ..

ويصدق حدسها حين تقع فريسة لبعض اللصوص الذين يوشكون على إيذائها مما يضطر الفتى إلى استعمال أسلوب (الساراياتا) للدفاع عنها برغم ما فى ذلك من فضح لسرّه ..

لكنها لم تسعد بذلك ..

لقد انتابها الذعر وأدركت أن هذا الأجير الذى يعيش معهم هو نوع من الجان أو الشياطين .. ، وكان أن لجأت إلى خبير الشياطين الوحيد الذى تعرفه ..

أتعرفون من ؟.. طبعًا أنا ولا فخر !

* * *

كأنّ هذا هين !

التعرف على شاب غريب الأطوار لا يثق بك لحظة ومحاولة معرفة سره .. لم أتمكن ـ بالطبع ـ سوى من تبين أن الفتى ليس مصريًا .. وليس معتوهًا .. بل هو يخفى سرًا لا يعلمه إلا الله ..

وحين أوشكت على الاستسلام ، كان الفتى قد قرر أن يثق بى ..

لمـاذا ؟..

لأنه وجد ضفيرة وثيابًا مما دله يقينًا على أن خصمه (جينغ ـ تشا) قد لحق به فى هذا الزمن وهذا المكان ، وبالتالى صار العثور عليه مسألة ساعات أو أيام ..

لاذ الفتى بى .. وبعربية متعثرة لم تُمارسْ قط اعترف لى بقصته وطلب منى أن أعاونه فى العثور على (جينغ ـ تشا) ، الذى هو ـ حتمًا ـ متنكر فى مكان ما وينتظر ..

ولقد استعنت بصديقى مأمور المركز ، لكن النتيجة كانت سلبية .. لم أجد أثرًا لخصمه المشاغب فى القرية .. إن (هن ـ تشو ـ كان) لفى مأزق حقًا ..

وكانت الفكرة التى خطرت لى هى أن أرسله إلى دارى بالقاهرة ، حيث يذوب فى الزحام فلا يجده أحد ..

وتم تنفيذ الفكرة فورًا ..

* * *

وفى شقتى بدأت أجد لونًا من التسلية فى صحبة هذا الفتى ببراعته وسذاجته ومثاليته وشجاعته .. وشاهدت معه أغرب التدريبات التى كان يمارسها على سطح البناية التى أعيش فيها ..

صحيح أنه كان مولعًا باصطياد الفئران من حين لآخر .. وصحيح أنه كاد يقتل لصًا قابلناه فى الحافلة (لأنه سيئ) على حدّ قول (هن ـ تشو ـ كان) ..

لكن ـ المحصلة ـ كانت أن الحياة معه مسلية إلى أقصى حد، وقد أذاب جدار الوحدة الذى حاصرنى إلى حد مروّع ..

لهذا ـ وهذه طبيعة الأشياء ـ كان لابد أن تحدث مصيبة ..

* * *

المصيبة كانت هى زوج أختي الذى اتصل بى من (كفر بدر) يقول لى إن هناك شابًا يشبه (هن ـ تشو ـ كان) كان يفتش عن توأمه المفقود بين القرى .. وأن هذا الشاب كان يشعر بشوق شديد نحو أخيه .. وبالتالى دلّه زوج أختي على عنواني في القاهرة شاعرًا بالسعادة لهذا العمل الخيّر الذى وفقه الله إليه !..

وقبل أن أتخذ قرارًا كان قد وصل لشقتى ..

(جينغ ـ تشا) شخصيًا ، اقتحم الشقة وضربنى علقة ساخنة دون مبرر حقيقى .. ثم طفق ينتظر عودة الكاهن الأخير من الخارج ..

وعاد الكاهن الأخير ..

وبدأت المعركة المروعة بين العدوين اللدودين ،

لا ننس هنا أن (جينغ ـ تشا) كان على علم لا بأس به بأساليب الـ (سارايانا) .. بالإضافة إلى شراسته ..

وهكذا نرى أن الخصمين متساويان تقريبًا للأسف ..

وكان علىّ أن أفرّ بعيدًا ..

أفرّ إلى شقة جارى (زكريا) بالطابق الأسفل لنغلق الباب على أنفسنا ونصغى إلى صوت الشجار بالطابق العلوى ..

وهنا أدركنا حقيقة مروعة ..

لم يكن (جينغ ـ تشا) وحده .. بل معه حشد من رجال (الماهايانا) الذين حاصروا البناية وقطعوا خطوط الهاتف ..

إنهم استخدمونا كوسيلة للضغط على المحارب الشجاع .. فإما الكتاب وإما حياتنا نحن السكان الأبرياء معدومو الحيلة ..

يا له من مأزق !..

إن الكاهن الأخير يعرف كيف يدافع عن نفسه .. لكن مهمته تصير معقدة جدًا حين تطالبه بالدفاع عنا كذلك ..

وبرغم أننى أمقت أغلب جيرانى إلا أننى لا أحب موتهم إلى هذا الحدّ ..

وحتى إذا تمنيته فليكن ذلك بعيدًا عنى !..

وهكذا .. تبدأ قصتنا الحالية ..

* * *

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراى) ... »

العاشرة والنصف ـ مساء اليوم الخامس من مايو ..

لكنهم نسوا النوافذ !

تذكرت هذه الحقيقة فى ذات اللحظة التى تذكرتها ابنة الأستاذ (زكريا) الكبرى .. رأيتها تخرج من الغرفة وشعرها مغطى بشبكة تحتها عشرات من تلك (البوبينات) التى تلف النسوة شعورهن عليها مما يعطى مظهرهن طابعًا فضائيًا (وكأنها قصة خيال علمى) ..

رأيتها تهرع للخارج .. إلى الصالة صائحة فى أبيها :

ـ النوافذ يا أبى ..!.. فلنستغث من النوافذ ..

صحت فى حماس وقد راقت لى الفكرة :

ـ هذا مناسب تمامًا .. لنطلب من أحد المارة أن يحضر الشرطة ..

وعالجت مزلاج النافذة ففتحته .. ثم وقفت أرمق الشارع فى شرود على ضوء أعمدة النور المتناثرة ..

لم يكن هناك أحد .. ولا واحد فى الشارع الراقى الضيق الذى يمتاز بالهدوء طوال العام .. فقط سيارتان واقفتان إلى جوار سيارتى ..

وثمة قط مذعور يفرّ بعيدًا .. ثم لا شىء ..

ابتلعت ريقى .. ثم فتحت فمى عن آخره :

ـ النجداااااااه !.. الغاااااوث !

بدا لى صوتى مبتذلًا وغريبًا خاصة وأننى لم أعتد على الصياح فى حياتى .. وكأن الفتاة وجدت هذا غير كافٍ ؛ قربت رأسها جوار كتفى وصاحت بصوت رفيع رائع كفيل بإيقاظ الموتى :

ـ النجدااااااااه !

لكن كل هذا الصراخ ذهب بلا جدوى ..

ظلّ الشارع ساكنًا بليدًا كما كان وكما سيكون فيما يبدو ..

إن شيئًا فى كل هذا ليس على ما يُرام ..

* * *

عدت ـ بكتفين منحنيتين ـ إلى داخل الصالة .. أواجه النظرات الحيرى للأستاذ (زكريا) وزوجته وبناته ..

ـ والعمل ؟

ـ لا عمل .. ننتظر هنا حتى تنتهى المشاجرة ..

ـ والرجل الواقف بالباب ؟

ـ إنه لم يحاول الدخول ولا تهديدنا .. كل ما يريده هو أن نظل حيث نحن وحتى تنتهى تسوية الحساب ..

وجلست على مقعد مريح ، ولم تكن معى سجائرى .. لحسن الحظ أن الأستاذ (زكريا) يدخن .. وبنظرة متسائلة أشرت إلى علبة سجائر موضوعة على المنضدة .. فأشار لى أن لا مانع ..

وأعدت لنا الزوجة بعض أكواب الشاى وبعض شطائر الجبن ، وعادت لتجلس معنا متسائلة فى توتر (كانت على شفير الانهيار العصبى) :

ـ ماذا يحدث بالضبط ؟.. من هؤلاء ؟

ـ إن شرح هذا يطول يا سيدتى .. لكن لنقل إن زميلى فى الشقة يمثل الخير واللون الأبيض .. أما هؤلاء الأوغاد فهم اللون الأسود بلا ظلال !

وهنا دوى صوت صرخة عنيفة من الطابق العلوى .. ثم صوت صرخة مضادة وأشياء تنقلب كأن فيلًا يتعلم وثب الحبل هنالك ..

ـ يجب أن نمدّ له يد العون .. ذلك البائس !

جرعت جرعة كبيرة من كوب الشاى واضطجعت مسترخيًا على المقعد :

ـ إن قتال هذين لشبيه بقتال الديناصورات التى ترينها فى الأفلام الخيالية ، ولن يلعب (المخلّص) بينهما أكثر من دور الذبابة .. أى أن كل ما سيفعله هو أن يُسحق أو يُمزّق .. صدقينى .. من الأفضل عدم التدخل ..

المزيد من الصراخ والركلات و .. تشاه سارايانا .. كيو سارايانا .. إذن هناك آخرون قد دخلوا الخط ..

وهنا حدث ما كنت أخشاه ..

لم أفهم ـ فى البدء ـ معنى هذا .. فقط خيل لى أن دبّابة تهشم باب الشقة ، ثم رأيت قدمًا حافية متصلبة الأوتار والعضلات تشق خشب الباب دون رحمة تصاحبها ضربات من يد مشابهة ..

وبعد ثانية كان رجل صينى شرس الشكل يحمل خنجرًا كئيب المظهر ..

كان هذا الرجل قد دخل إلى الشقة وبوثبة واحدة كان عندى .. و .....

يؤسفنى أن أذكر أنه جرنى من قفاى جرًا إلى الباب .. وأنا أمسك بكوب الشاى مرددًا :

ـ لحظة أيها الحيوان !.. الشاى سينسكب علىّ !

لكنه ـ بالطبع ـ لم يعر كلامى انتباهًا ..

وشعرت بنفسى أحمل حملًا إلى مدخل الشقة .. الإضاءة الخافتة على السلم والظلام الشرير القابع على الأطراف ينتظر ..

وحين رفعت عينى لأعلى رأيته ..

واقفًا عند أعلى درجات السلم متحفزًا كالنمر .. غاضبًا كالثور .. متوترًا كالثعبان .. كان (هن ـ تشو ـ كان) ..



وشعرت بجسد الوغد الذى يقيد حركتى يتصلب ..

ثم شعرت بنصل الخنجر يتحسس شيئًا ما فى عنقى ..

وعلى درجات السلم تناثرت ثلاثة أجساد مهشمة لا تبدى حراكًا .. واضح طبعًا أنهم من رجال (الماهايانا) الذين نالوا عقابًا لن ينسوه ..

وكان الفتى يردد فى هستيريا خانقة :

- سوان هانتشاه (سارايان) !

يا لك من معتوه !.. ليس هذا هو وقت البروتوكول .. اضرب ثم تكلّم .. إن هذه المثاليات والتشبث بالتقاليد ستقودك حتمًا إلى كارثة ..

ثمة جسد رابع يتلوى وهو يئن على بعد أمتار من مكانى .. واضح طبعًا أن هذا هو جسد (جينغ - تشا) الذى كوفئ على حماسه بسقوطه من فوق درجات السلم مهشم العظام .. لقد كانت الغلبة للكاهن الأخير إذن ..

وشعرت بجسد الوغد الذى يقيد حركتى يتصلب ..

ثم شعرت بنصل الخنجر يتحسس شيئًا ما فى عنقى .. ذات الوريد البائس الذى داعبه الزومبى وسفاح الإسكندرية يومًا ما ..

فما إن رأى (هن - تشو - كان) المشهد حتى صرخ فى جزع ..

- (ريفات) !

وهنا سمع صوت خطوات من أعلى فرفع بصره - وكذا

فعلت أنا ـ ليجد (عزت) جارى المثال البائس ، بقامته الناحلة ولونه الأسمر العجيب .. كان يرتدى منامة زرقاء وحافى القدمين مما دلنى على أنه كان غافيًا حين فوجئ بالكارثة التى هبطت عليه ، فى صورة صينى آخر مفتول العضلات يلوّح بخنجر مبهج الشكل ويهدده باستعماله ..

ومن الطابق الأسفل لمحت صينيًا آخر يمسك باللواء (محمد حليم) المتقاعد .. وكان يرتدى فانلة داخلية وبنطال بيجامة ويصدر عبارات التهديد لهؤلاء الأوغاد .. الأمر الذى بدا لى مضحكًا ..

لقد صار الموقف واضحًا ..

ولمحت ـ بطرف عينى ـ جهازًا معقدًا من التروس والسلاسل والنصال موضوعًا على السلم ، أنا لا أدرى ما هو ، لكنه ـ حتمًا ـ جهاز تعذيب عبقرى قادم من عالم محاكم التفتيش .. وبالتأكيد سيبدءون فى تجربة هذه التحفة علينا أمام عينىَ (هن ـ تشو ـ كان) ..

حمدًا لله أن هؤلاء الأوغاد اكتفوا بتهديد الرجال ، فلو بدءوا بتهديد بنات الأستاذ (زكريا) أو المهندس (سليم) لكان الموقف محطمًا للأعصاب إلى حدّ لا يُوصف ، ولاضطررنا ـ واضطر (هن ـ تشو ـ كان) ـ إلى التهوّر مهما كانت النتائج ..

ثم ان هناك متعة لا تنكر فى أن أرى الأستاذ (زكريا) يُعذب حتى ولو كنت أنا التالى فى الدور له !

بتؤدة ينهض (جينغ ـ تشا) من رقدته .. بثقة يجلس .. بسماجة يتكلم .. موجهًا كلامه إلى (هن ـ تشو ـ كان) .. والكلام بلغة (النافاراى) التى لا يفهمها سواهم (وأشك أنهم يفهمونها فى الواقع) ..

نظرة بلهاء مذهولة فى عينى (عزت) .. المسكين .. لابد أنه يحسب كل هذا كابوسًا .. لقد صحا من النوم ليجد نفسه وسط كل هذا ..

أما المهندس (سليم) فأخذ يتساءل فى حيرة :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم !.. أية لغة شياطين هذه ؟

ـ ششششش ! إنها لغة (النافاراى) !

لا أحتاج لأن أكون عبقريًا كى أفهم ما يُقال ..

لقد صار هؤلاء الأبرياء فى قبضتنا أيها (الزهرة الزرقاء) ، وحياتهم رهن بإشارة منك .. فإذا سلمتنا كتاب الـ (شوكارا) فقد كفى الله المؤمنين القتال ، وإذا رفضت فسترى أسوأ مجزرة لم تزر كوابيسك بعد ..

وللمرة الأولى أرى إمارات الغباء والحيرة على وجه (هن ـ تشو ـ كان) ..

كان عاجزًا عن اتخاذ القرار الصائب ..

عاجزًا عن إنقاذنا جميعًا فى نفس الوقت ، فمهما أجاد وأسرع فحتمًا سيفلت منه وغد أو وغدان يطيحان برأس أو رأسين ..

كان عاجزًا عن تسليمهم الكتاب ـ تراث أجداده المقدس ـ وحتى لو فعل فمن يضمن له النتائج ؟!..

أما عنى أنا فالاختيار بسيط جدًا ..

أنا أرفض أن أموت فى سبيل كتاب مقدس عند رهبان (التبت) فى القرن الخامس عشر !.. هذا هو رأيى وأرفض أن أرى الموضوع على أى ضوء آخر ..

نعم هو رأيى .. ولكن من يصغى ؟

★ ★ ★

الحادية عشرة والربع ـ مساء اليوم الخامس من مايو ..

أطلق (عزت) أنة .. ثم تهاوى على الأرض ..

يا للكارثة !..

كنت أعرف أن هذا سيحدث .. وها هو ذا ذلك الأحمق يصاب بهبوط حاد ناجم عن فرط الانفعال ، وأرجو ألا ينسى القارئ أنه ـ (عزت) لا القارئ طبعًا ـ مصاب بفشل الغدة فوق الكلوية ، ويعيش على (الكورتيزون) ..

سيكون صعبًا أن أشرح تاريخ حالته الطبية بالإشارات لهؤلاء المتعصبين ..

لكن الحقيقة .. الحقيقة التى لم تفارقنى هى أن الفتى فى وضع خطر ، وستزداد حالته سوءًا لو لم ينل حقنة كورتيزون حالًا ..

★ ★ ★

دارت محادثة طويلة مملة بين (هن ـ تشو ـ كان) و (جينغ ـ تشا) ..

ونظرًا لأننى لا أريد أن يفارقنى القارئ فإننى سأعفيه من ذكر استنتاجاتى بشأنها .. فلا بد أنها نوع من صياح الديكة المتحفزة قبل القتال ..

وفجأة رأيت (هن ـ تشو ـ كان) يمدّ يده إلى أزرار قميصه .. يفتحها .. وينزع القميص كاشفًا عن جسده العضلى المتوتر ..

وحول خاصرته رأيت كيسًا من (النايلون) مربوطًا بحزام قماشى ..

إذن كان هذا هو موضع الكتاب طيلة الوقت .. فهو لم يثق فى أى مكان يخفيه فيه .. وهو ذا قد استسلم أخيرًا ..

ورأيت الفتى يفك الحزام ويلوّح به وبالشىء الموضوع فى الكيس ..

لكن (جينغ ـ تشا) ردّد كلمة ما فى عناد ..

واضح ـ طبعًا ـ أن الفتى يطالبهم بإطلاق سراحنا ..

أما (جينغ ـ تشا) فمصرّ على موقفه .. الكتاب أولًا ثم نرى كيف نتصرف ..

كلاهما مصمّم على رأيه .. وقد بدأ الملل يعتصرنى ..

مرّت اللحظات ثقيلة ..

ثم .. هو ذا (هن ـ تشو ـ كان) يطوّح بالكيس فى الهواء ..

وتشتت انتباه العصابة ليروا أين سيسقط الكتاب ..

وكانت هذه هى اللحظة التى انتظرها الكاهن الأخير طويلًا ..

أما ما حدث بعد ذلك فلا يصدق ..

أنتم تذكرون تدريبات الفتى المتواصلة مع الفئران ولم تصدقوا حرفًا ..

الآن تصدقون !

* * *

حين تمتزج بالكون وتتعلم أسراره ..

حين تتعلم منه سرعة البرق .. وقوة الفيضان .. ومضىّ الشهب ..

حين تتشرب منه رقصة الإلكترونات المحمومة حول نواتها ، وصبر المذنبات التى لا تتساءل عن مغزى رحلتها السرمدية ..

وحين تفهم منه معنى الأبدية .. وأحلام النجوم ..

عندئذ يمكنك أن تكون هذا الرجل ..

* * *

كانت الوثبة طويلة من أعلى درجات السلم ..

ولمحت الوغد الذى يكبّل حركتى وقد هوى على الأرض ، ثم رأيت قدمًا تضرب (جينغ ـ تشا) على جذور عنقه ، وكفًا تهوى بين عنق أحدهم وكتفه ..

ولمحت الرجل الذى يهدد لواءنا المتقاعد وهو يتدحرج على السلم .. ثم رأيت الخنجر يطير فى الهواء ليستقر فى صدر وغد آخر ..

ثم هوى الكتاب عند قدمى بالضبط !..

عندئذ - فقط - بدأت أدرك حجم المعجزة التى تمت أمامى ، وأدركت أننا بحاجة إلى أسابيع طويلة قبل أن نفهم ما فعله الكاهن الأخير ..

على السلم كانت هناك ثلاثة أجساد مهشمة فازداد العدد قليلًا ..

انحنيت على الكتاب لألتقطه لكنى سمعت (شخطة) من (هن - تشو - كان) كى أتركه حيث هو .. واضح أنه لا يريد تدنيس الكتاب بأيدى غرباء ..

ثم إنه وقف على قدميه .. العرق يغرق ثيابه وينساب - كالشلال - من فوق شعر حاجبيه .. بصوت لاهث يهتف :

- سوان هاتشاه سارايان !

ثم ينحنى جوار (جينغ - تشا) الممدد بلا حراك على الأرض .. فيربت على جبينه مرددًا بلا كلل :

- (جينغ - تشا) .. سوان هاتشاه سارايان !

هو ليس فخورًا بما فعل ..

وها هو ذا يعتذر لـ (جينغ - تشا) لأنهم أرغموه على ذلك ، وأنهم اضطروه لاستعمال أسلوب (سارايانا) الذى - كما هو واضح - يعتبره قذرًا ..

لقد انتهت المأساة بمذبحة ..

لكن - على الأقل - ليست دماؤنا هى التى تلطخ درجات السلم ، وكنا أقرب ما يكون لذلك ..

ينهض الكاهن الأخير .. يمشى بتؤدة ليأخذ الكتاب حيث سقط عند قدمى ، و .....

- احترس يا (هن - تشو -......) !

ولم أكمل تحذيرى ..

إذ رفع (جينغ - تشا) رأسه بمجرد أن أدار (هن - تشو - كان) ظهره له - إن هذا المتعصب لا يهلك أبدًا !.. ورأيته يمسك بأداة هى عبارة عن كرة دوّارة تبرز منها الأشواك ، كتلك التى يظهر محاربو (النينجا) وهم يقاتلون بها دائمًا فى أفلام (هونج - كونج) الرديئة ..

وبآخر ما تبقى لديه من قوة .. ببقايا الروح التى تفارق جسده سريعًا ..

قذف الكرة التى دارت فى الهواء بسرعة جنونية ..

ثم استقرت فى مؤخرة عنق (هن - تشو - كان) ..

تقلّص وجه الفتى وارتسمت عليه أعتى أمارات الألـ .....

اللعنـة !..

إنه يتهاوى كالبالون المثقوب ..

تنثنى ركبتاه .. يرتخى ذراعاه ..

ثم يغمغم شيئًا ما ..

وينكفئ على وجهه بلا حراك !

* * *

الحادية عشرة والنصف ـ مساء اليوم الخامس من مايو ..

سقط (هن ـ تشو ـ كان) عند قدمي فوق كتابه ..

أطلقت صرخة رعب .. وانحنيت لأريح رأسه على ركبتي .. ثم مددت يدى بحذر وانتزعت الكرة الدوارة من مؤخر عنقه ..

كانت لينة ـ وهذا غريب ـ خفيفة الوزن ـ وهذا أغرب ـ تشع منها إبر صغيرة مجوفة ..

وهنا فهمت ..

إن الضرر الذى تحدثه هذه الكرة ليس ناجمًا عن قوة ارتطامها ، والأذى الذى تسببه للتركيبات الحيوية .. بل هو ناجم عن قيامها بحقن سمّ ما ..

هأنذا أعتصر الكرة بحذر فينزّ سائل أخضر اللون من أطراف الإبر ..

وهذا السائل هو ما يجرى الآن فى عروق الكاهن الأخير ..

وكانت الكرة مزودة بطرف عار من الإبر ليسمح لمن يقذفها ألا يدمى أصابعه هو نفسه ..

ولكن ما كنه هذا السم ؟..

أنا لا أعرف سموم هؤلاء القوم لكنى أستطيع تخيلها .. سمّ من أسنان ثعبان الصخور الأرقط .. أو من أنياب التنين المطحونة .. أو من عصير الوطاويط .. أو أى شيء من هذا الهراء الذى لن أعرفه أبدًا ..

فتحت عينى (هن ـ تشو ـ كان) فوجدت الحدقتين ضيقتين دبوسيتين ..

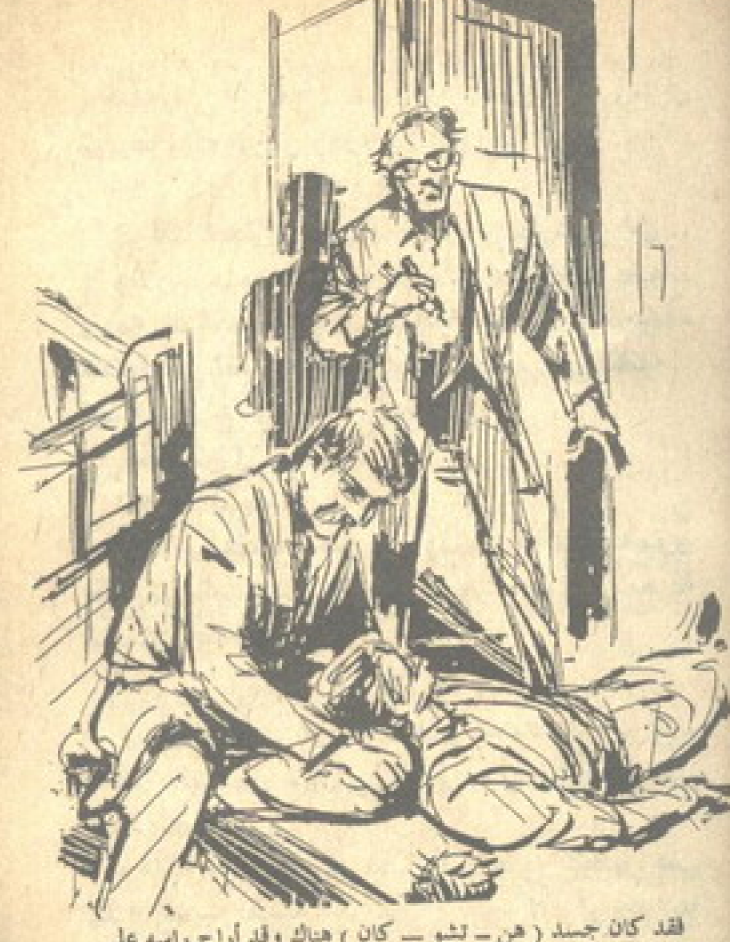
وكان يتنفس بصعوبة واللون الأزرق يزحف على شفتيه ..

إذن سنقتدى بالقاعدة الطبية القديمة : إذا كان السمّ مما يضيق حدقتى العينين ، فالترياق المناسب لابد أن يوسعهما !..

أرحت رأسه على الأرض وهرعت إلى شقتى وسط التساؤلات ..

ومتناسيًا الفوضى فى كل مكان ـ كأن إعصارًا مرّ بالشقة ـ جريت إلى الصيدلية الصغيرة فى الحمام ، فكسرت ستة أمبولات من (الأتروبين) .. وعبأت محقنًا بها ..

قد يكون السمّ مشتقًا من مادة الفوسفور العضوى .. وقد يكون من قلويدات الأفيون .. وقد يكون من مشتقات (الارجوت) .. وقد يكون مادة ما لم أسمع عنها ولا يعرفها أحد ..



فقد كان جسد (هن ـ تشو ـ كان) هناك وقد أراح رأسه على ركبة الأستاذ (زكريا) ..

كل شيء جائز ..

لكني لن أنتظر حتى يموت (هن ـ تشو ـ كان) بينما أرمقه في حزن ..

يجب أن أفعل شيئًا حتى ولو كان هذا الشيء هو التعجيل بموته !

★ ★ ★

ونزلت درجات السلم لألحق بالفتى حين حدث شيء غريب ..

لم تكن هناك جثث .. لم يكن هناك صينيون !..

اختفوا .. تبخروا .. ذابوا في اللانهاية ..

فقط كان جسد (هن ـ تشو ـ كان) هناك وقد أراح رأسه على ركبة الأستاذ (زكريا) .. ولمحت الذهول في عيون القوم .. فأين ذهب المعتدون إذن ؟

لكنني استطعت أن أفهم ....

لقد عادوا إلى عالمهم بمجرد أن قضوا نحبهم ..

كأن (الشانكين) ياى يجذب هؤلاء القوم باستمرار نحو زمنهم وأرضهم ..

وحين ماتوا فقدوا ارتباطهم بهذه الأرض وعادوا محلقين إلى عالمهم ..

كل هذا غريب ..

لكنه يعنى أن (هن ـ تشو ـ كان) مازال حيًا ، ومازال مربوطًا بهذه الأرض وهؤلاء الناس وهذا الزمن ..

* * *

أفرغت المحقن فى عروقه النافرة وانتظرت فى أمل ..

والآن .. ها هى ذى علامات (الأتروبين) تظهر عليه .. وجهه يتقد كجمرة ملتهبة .. حدقتاه تتسعان .. لسانه يجف كقطعة من القش .. قشور بيضاء تحتشد على شفتيه .. نبضه يتسارع ..

المفروض أن ينهض ..

لكن هذا لم يحدث ..

إن الأمر أعقد مما تصورت ، ولم يعد ثمة ما أفعله سوى نقله إلى المستشفى الجامعى ـ حيث أعمل ـ لمعرفة ما يمكن عمله ..

* * *

وتعاونت مع (عزت) ـ الذى استعاد قواه نوعًا ـ لنحمل الفتى إلى سيارتى ، ثم أنهب بها الشوارع نهبًا قاصدًا المستشفى ..

وهناك تعاون طبيبان شابان من أطباء التخدير على إيلاج أنبوب القصبة الهوائية فى حنجرته ، ثم وصلاها بجهاز للتنفس الصناعى ، وتم إجراء بعض التحاليل

الدموية ، وحقن لترات لا جدوى منها من مادة الدكستروز فى عروقه ..

قال أحدهم مضيقًا عينيه فى ذكاء :

ـ تبدو لى كحالة من .. من ...

تساءلت ملهوفًا :

ـ من ماذا ؟

ـ من تسمم (الأتروبين) !

تبًا لك !.. لقد كنت أنا من حقنته بالأتروبين منذ دقائق !..

إن مشكلتنا ـ وهذا جلىّ لى ـ بلا حلّ ..

فإما أن يعود (هن ـ تشو ـ كان) إلى الحياة من تلقاء ذاته ، وإما أن يموت من تلقاء ذاته ، وليس لدينا سوى الانتظار ومصمصة الشفاه ..

منحنى الكتفين مطأطئ الرأس عدت لدارى بعد كل هذه الضوضاء ..

الساعة تقترب من الواحدة من صباح اليوم السادس من مايو ..

أصعد فى درجات السلم فى توجس ..

لقد رحل رجال الشرطة من زمن ، وعاد الجيران إلى شققهم .. فلم يبق أثر سوى باب الأستاذ (زكريا) المهشم الذى ثبته بالمسامير مؤقتًا حتى يجد من يصلحه

فى الصباح .. لابد أنهم قد ناموا على أمل أن يعرفوا فى الصباح أنهم كانوا يحلمون ..

و ...... لحظة !..

نسيت شأن الكتاب تمامًا !..

صحيح أنه لا يهمنى فى شعرة لكننى - حتمًا - أحترمه وأحترم تضحية (هن - تشو - كان) بحياته من أجله ، فلا أريد لهذا الرمز أن ينتهى فى سلة المهملات أو تُلف فيه أقراص (الطعمية) ..

إن اهتمام الآخرين بشىء ما - فكرتُ - يضفى أهمية حقيقية على هذا الشىء ، ولهذا يتلخص كبرياء الوطن فى قطعة قماش هى العلم .. ويتلخص حبك لزوجتك فى حلقة قد تكون من الذهب وقد تكون من الفضة هى الدبلة ..

ويتلخص كل كيان الفتى وذكرياته فى هذا الكتاب الأبله (الشوكارا) ..

لهذا - ومهما كنت قاسيًا - لا أجرؤ على إهمال هذا الكيان ..

قرعت الجرس الوحيد الذى جرؤت على قرعه فى هذه الساعة .. جرس جارى (عزت) الذى يحيا كذئب وحيد ..

انفتح الباب وظهر لى بوجهه الأسمر النحيل الكالح

متسائلًا عما هنالك ، فما إن رآنى حتى أشرق وجهه ودعانى للدخول هاتفًا :

- ألن تفهمنى كنه هذا الذى حدث ؟

- نعم .. فيما بعد لكن ليس الآن .. والآن هلا أخبرتنى بما حدث لذلك الكتاب الملفوف فى كيس ، والذى أخرجه الفتى من تحت ثيابه ليقدمه للمعتدين ؟

صاح فى حيرة وهو يحك ما تحت إبطه :

- كيف لم تر ما حدث ؟.. آه !.. لقد جريت إلى شقتك لتحضر المحقن .. حسن .. لقد زحف أحد الرجال - أكثرهم عدوانية - نحو موضع الكتاب ، و ...

- تعنى أن (جينغ - تشا) لم يكن قد مات بعد ؟

- كان يلفظ آخر أنفاسه إلا أنه التقط الكتاب واحتضنه .. ولم يجرؤ أحدنا على منعه بالطبع .. ، ثم ...

- ثم ماذا ؟

- ثم أخرج قنينة صغيرة جدًا - بحجم الإصبع - وجرع ما فيها .. وسقط منكفئًا على وجهه .. بعدها ذاب .. تلاشى تمامًا هو ومن معه من رجال ، .. (رفعت) !.. أنا أسمع كثيرًا عن الهلوسة الجماعية ، فهل ما مررنا به نوع منها ؟ .. وما هو سبب كل هذا ؟

ثم أشرق وجهه بنشوة الفن وهتف :

ـ آه لو رأيت منظره وهو يزحف فوق درجات السلم !.. الأسد الجريح !.. يا لنبله ويا لرشاقته !.. إننى عاكف الآن على رسم (اسكتشات) أولية لهذا المشهد بغرض صنع تمثال جديد ..

هل تحب أن تراها ؟!

....

* * *

الحادية والأربعين ـ ظهر اليوم الخمسين من (هسيراد) ..

كان هناك ...

إنه لم يفقد ذاتيته بعد .. وهو يعرف نفسه كأفضل ما يكون ..

أما كيف وصل هناك فموضوع آخر ..

تذكر فقط أنك قد أرديت خصومك جميعًا ، فتساقطوا كالفراش حول النيران .. لقد انتصرت (الساراياتا) على جنود الظلام ..

وتذكر أنك انحنيت جوار (رفعت) لتأخذ كتاب الـ (شوكارا) ..

ثم .. الألم الحارق فى مؤخرة عنقك .. بغتة ..

القوة تتسرب من رقبتك كما يتسرب البخار من (السماور) ..

عندئذ ـ وعندئذ فقط ـ أدركت أنهم قد نالوا منك ..

والآن أنت هنا يا (هن ـ تشو ـ كان) .. أنت هنا ..

* * *

لم يكن هناك أفق ..

ولم تكن هناك شمس ..

فقط الظلام العتيد .. الظلام البكر الأولي يمتد إلى ما لا نهاية .. وثمة خطان متوهجان باللون الأزرق المشع يمتدان - هما أيضًا - إلى ما لا نهاية .. فوق رأسه ..

ونظر (هن - تشو - كان) إلى قدميه ..

غبار أحمر متوهج يتطاير هنا وهناك محدثًا - تحت قدميه - صوتًا غريبًا غير مُستحب ، كالصوت الذى تحدثه أسنانك فى ثمرة كمثرى غير ناضجة ..

لقد نالوا منك ...

إذن أنت قد مُتَّ يا (هن - تشو - كان) .. وهذا هو العالم الآخر .. أرض الأجداد التى سمعت عنها مرارًا ..

أنت مذعور .. ولكن فى هذا دليلًا على أنك لم تلحق بالأجداد بعد ..

الأشباح لا ينتابها الذعر بعد ما ظفرت بالأبدية .. الذعر سمة الفانين ..

وأنت لا تصدق أن كل هذا ممكن ..

إذن .. أنت حىّ .. لكنك منفى هاهنا ..

* * *

وهنا يتصاعد الغبار الأحمر فى الأفق ..

وبعين مذعورة ترى شيئًا يقترب .. ثلاثة أشياء فى الواقع ..

لبرهة ظننت أنك ترى ثلاثة فرسان على خيولهم يقتربون منك .. ثم بعد ثوان أدركت أن الأمر ليس كذلك ..

فرسانًا نعم .. يركبون خيولًا نعم ..

لكنهم كانوا بلا وجوه .. مجرد أجساد تمتطى أشياء أقرب إلى الزواحف واللهيب يتصاعد من مناخرها .. لهيب أزرق مضىء ..

وكان كل (شىء) من هذه الأشياء الراكبة يلوح بلسان من النار .. لسان طويل أخضر اللون تتناثر منه الشعلات فى كل صوب ..

كانوا يريدونك ..

وهذا حسبك ....

أطلق الأول صوتًا عجيبًا - كأنه قشرة بيضة تتهشم - ودنا منك ملوحًا باللسان الأخضر .. ضخمًا .. رهيبًا .. مهيبًا ..

لكنك - حتى فى هذا العالم - لم تنس أساليب التفادى ..

تمرغت فى الغبار الأحمر فتناثر فى كل مكان ..

لقد أدركت - بالفطرة - أن هذا اللسان الأخضر نوع من السلاح .. شىء يُقذف عليك من شخص لا يبدو ودودًا هو بالقطع سلاح لا تعرفه ..

وسمعت هذه السحلية تطلق فحيحًا ، ثم تمر جوارك نحو مكان ما ..

وعندئذ جاء الفارس الثانى ..

المزيد من قشور البيض تتهشم ، واللسان الأخضر يثب نحوك ..

وثبت فى الهواء لتتحاشاه ثم هبطت على قدميك على حين اندفع نحوك الفارس الثالث .. فمرّت نيرانه فوق رأسك ..

من هؤلاء ؟.. من أين جاءوا ؟.. أين أنت ؟..

لا وقت للإجابة ..

هأنتذا واقف تلهث فى حين يقف الثلاثة صفًا أمامك يتحرشون بك استعدادًا لمواصلة الهجوم .. والسحالى التى يمتطونها تنفث النار وتبعثر الغبار الأحمر بأقدامها الحانقة ..

حتى هنا لم ينس الفتى آداب (النافاراى) ..

ـ « تشا سارايانا ! »

صرخ وهو يثبت قدميه على الأرض ويفتحهما :

ـ « جيانغ سارايانا ! » .

قالها وهو يفتح ذراعيه عن آخرهما :

ـ « كيو سارايانا ! » .

هتف بها وهو يرجع رأسه إلى الخلف كسهم فى قوس .. ثم ..

ثم ترك الزناد .. فاندفع فى الهواء نحو الفارس الأوسط ..

وبساق غاضبة وجه له ركلة عنيفة فى صدره ..

لكن الساق لم ترتطم بشىء .. بل مرت عبر الصدر ، ليجد الفتى نفسه ساقطًا على الأرض وسط الغبار الأحمر البراق ..

لم يكن لهؤلاء وجود مادى إذن .. بل هم أطياف .. رؤى .. نوع من السراب الذى كان يراه فى طفولته عبر صحارى الجليد ..

وكأنما كانت هذه هى الإشارة ..

اندفع الفرسان الثلاثة نحوه صارخين .. لكن صراخهم لم يزد على نوع من تهشيم قشور البيض كما أسلفنا الذكر .. صارخين من أفواه لا وجود لها ..

إنهم يلوحون بنيرانهم .. من المؤكد أنها لا تؤذى .. لكنه لن يجازف ..

تمرغ أرضًا ثم وثب ثم تمرغ أرضًا ليمر ما بين القدمين المخلبيتين لواحدة من تلك الزواحف التى تشبه الخيل ..

وحانت منك نظرة إلى السماء فرأيت أن الخطوط قد ازدادت خطين ..

خطين لونهما أزرق متألق يبدآن من اللا نهاية وينتهيان فى اللا نهاية ..

ما معنى هذا ؟.. ما هو هذا المكان ؟..

* * *



وبساق غاضبة وجه له ركلة عنيفة فى صدره ..

لكن الساق لم ترتطم بشىء ..

أنت فى (زانادو) .. حيث تحيا الظلال على دماء الموتى .. وحيث يمزج الرعب خمر الفناء لمن ضلوا السبيل .. أنت فى (زانادو) أرض الكوابيس فاخضع للخان العظيم ..

★ ★ ★

من قال هذا ؟

لا يدرى .. لكنه سمع الصوت كأوضح ما يكون فى دهاليز عقله .. وبرغم إنهاكه كان قادرًا على التفكير المتعقل ..

إنه لم يتوهم ذلك كله .. بل هو حقًا هنا يواجه هذه المسوخ ويصغى لهذا الصوت الذى يدعوه للخضوع .. صوت لا يتحدث بلغة معروفة لكنه مفهوم ..

ولكن ما هى (زانادو) هذه ؟(*)

★ ★ ★

أنت فى (زانادو) .. حيث يصير للمخاوف كيان ملموس ، وحيث تخطو الأشباح فى دهاليز الأبدية .. أنت فى (زانادو) حيث الظلام السرمدى ..

(*) (زانادو) هى مملكة خيالية عاش فيها (قوبلاى خان) فى قصيدة (كبلنج) الشهيرة المسماة بنفس الاسم.

وحيث تعزف النجوم لحن العدم .. فاخضع للخان العظيم ..

* * *

مرة أخرى يسمع الصوت ..

وحتى إذا ما خضع لهذا الخان العظيم ، فكيف يفعلها ؟..

كيف يمكن إخبار هذه المسوخ ـ معدومة الرأس ـ أنك تستسلم ؟

إنهم يقفون أمامه صامتين .. على حين تصدر الزواحف خوارًا مستمرًا وتتحرك فى قلق كأنها تريد مواصلة الهجوم ..

لكن الفرسان ينتظرون ..

من هو الخان العظيم ؟.. هل هو رئيسهم ؟

* * *

« أنت فى (زانادو) أيها المحارب .. حيث ينزع الغموض رداءه .. وتفتح الطلاسم أقفالها .. وتستحم عذارى الليل عرايا فى دماء من ضلّوا سبيلهم وجاءوا هاهنا .. أنت فى (زانادو) أرض الشؤم .. فاخضع للخان العظيم » ..

* * *

خضعت !.. خضعت !..

فلينته كل هذا !..

أنا لم آتِ محاربًا ولا أدرى أين أنا ..

لو كنت ـ حقًا ـ خانًا عظيمًا ، فالمفروض أن تعرف أننى لا أرغب سوى فى المعرفة والفهم ..

لو كنت خانًا عظيمًا لجعلت مسوخك ينصرفون ..

لو كنت ......

وهنا حدث شىء مريع ...

* * *

الواحدة والنصف ـ صباح اليوم السادس من مايو ..

ولكننى ـ برغم كل شىء ـ جائع !..

تذكرون أننى لم أتناول عشائى بعد ، وكنت أنتظر (هن ـ تشو ـ كان) حين يعود من السوق .. إذ جاء هذا الإعصار (جينغ ـ تشا) ليقلب الأمور رأسًا على عقب ..

لهذا وضعت المقلاة على الموقد وأذبت بها ملعقة سمن ، وكسرت بيضتين ..

ثم جلست ألتهم عشائى من المقلاة مباشرة ، على أن أعود إلى المستشفى على الفور بمجرد أن تخرس كلابى (كما يقول الإنجليز) ..

أنا لست بارد الأعصاب كما تظنون ، ولست قاسيًا .. أنا ـ فقط ـ جائع ولن أوذى أحدًا بشبعى كما لن أفيده بجوعى ..

ثم إننى أشعلت لفافة تبغ وطفقت أتأمل الحلقات الرمادية المتصاعدة ..

إذن حصل (جينغ ـ تشا) على الكتاب .. وحمله معه إلى .....

إلى أين ؟..

هل عاد به للقرن الخامس عشر ؟.. ولكن كيف يستفيد به هناك ؟.. أكاد أقسم إنه لفظ أنفاسه أو كاد إثر ضربات الكاهن الأخير الفعالة على مواضع هذه الـ (كارما) أو الـ (صارما) لا أذكر اسمها ....

تبًا لك يا (هن ـ تشو ـ كان) !..

كيف تسمح لنفسك بالإصابة بالغيبوبة فى لحظات هامة كهذه ؟.. أنت الوحيد الذى كان يملك تفسير ما حدث ..

وهنا دقَّ جرس الهاتف فى إلحاح ..

نهضت لأرد متوقعًا أن أسمع الخبر إياه .. فسمعت صوتًا ملهوفًا :

ـ د . (رفعت) ؟.. أنا (منير) ..

ـ اختصر يا صديقى .. اختصر ..

ـ المريض الذى أحضرته لنا ..

ابتلعت ريقى وتحسست صدرى ضاغطًا قلبى فى موضعه حتى لا يسقط إلى قدمىَّ .. وتساءلت :

ـ هل هو .... ؟

ـ كلا .. ولكن .. أشياء غريبة جدًا تحدث .. هلا جئت لنا الآن ؟

وضعت سماعة الهاتف وأنا ألعن فى سرى ..

ستكون ليلة أسود من قلب كفار (قريش) جميعًا ..

★ ★ ★

على الشاشة الخاصة بجهاز (المونيتور) أخذت النبضات الكهربية تتواثب كالبراغيث الخضراء ، فى حين يشير مؤشر النبض إلى مائتى نبضة فى الدقيقة ..

كان هناك عدد لا بأس به من المناظير والمعاطف البيضاء حولى ..

وسألنى أحدهم وهو يتثاءب :

ـ ما سر هذا ؟

ـ كنت أظنكم تعرفون الإجابة ..

ـ إن الضغط يتزايد كذلك .. وحركة الحدقة سريعة حقًا ..

قال د . (منير) وهو يفتح جفنى (هن ـ تشو ـ كان) متأملًا حدقتى العينين اللتين تتحركان كبندول :

ـ هل تريدون رأيى ؟.. يخيل لى أن هذا شبيه بطور النوم المتناقض (بارادوكس) الذى تبدأ فيه الأحلام ..

قلت وأنا أحك عنقى :

ـ هل تعنى أنه يحلم فى غيبوبته ؟..

ـ بالتأكيد .. وأظنه يحلم بالكوابيس ..

كنت أفكر فى كل هذا شارد الذهن .. حين دنت منى إحدى مشرفات التمريض وجذبت كمى قائلة فى حزم ، وهى تمسك بدفتر كئيب المنظر :

ـ تأمين العناية المركزة ثلاثمائة جنيه !..

ـ فيما بعد .. فيما بعد .. نسيت أن أجلب مالًا ..

ثم نظرتُ إلى الفريق الطبى الواقف متسائلًا :

ـ لماذا لا تجرون له غسيلًا كلويًا يزيل آثار هذا السمّ من عروقه ..

ـ سنحاول ذلك .. لكننا لا نضمن أى نجاح ..

وهنا شعرت بالمشرفة تجذب كمى مكررة فى حزم :

ـ لا تنس الثلاثمائة جنيه صباح غد وإلا طردناه !

صعد الدم إلى رأسى :

ـ لن أنسى عليك اللعنة .. ولكن دعينى أكمل جملة واحدة !..

ثم قلت وقد تذكرت شيئًا .. موجهًا كلامى إلى د. (منير) :

ـ إن عندى كمية نقية من هذا السمّ .. ولأقومنّ بتحليلها باكرًا فى مركز البحوث ، فلربما أفادنا هذا ..

سأحاول أن أختصر فلا أحكى لقائى العسير مع رجال الشرطة ووكيل النيابة الشاب المتحمس ، الذين انقضوا علىّ من كل صوب يحاولون فهم ما كان هذا الآسيوى يفعله فى شقتى .. وأين جواز سفره ؟.. ولماذا لم أتصل بسفارته ؟.. وما سر المشادة التى حدثت على سلالم البناية ؟.. إلخ .. إلخ ..

أنا أحب هؤلاء الرجال لأنهم يؤدون واجبهم ، لكنى أجد من العسير نوعًا أن أحدثهم عن (النافاراى) و (الماهايانا) .. لهذا اختصرت أكثر التفاصيل إلى أن صارت القصة مجرد قصة صديق آسيوى عرفته بالصدفة .. ودعوته إلى دارى حين هاجمنا بعض الأوغاد لأسباب لا أعرفها ..

وجاء اثنان من سفارة (جمهورية الصين الشعبية) ليريا الفتى ويتأكدا من أنه ليس من رعايا دولتهما .. هذا بالطبع قبل أن تبدأ وفود (ألبانيا) و (اليابان) و (ماليزيا) و (الفلبين) و (نيبال) و (منشوريا) غدًا بإذن الله ..

والنتيجة هى ـ حتمًا ـ خراب بيتى بشكل أو بآخر ..

إن السفر عبر الزمان والمكان جميل .. لكنه ليس مستحبًا في زمن تقيده جوازات السفر ، ويكون فيه على كل إنسان أن يثبت أنه (شخص ما) وإلا فالويل له .. هو ومن أخفاه عنده !

* * *

الرابعة بعد منتصف الليل ..

• عدتُ بسيارتى إلى دارى .. إنها المرة الثانية فى هذه الليلة التى لا تنتهى ..

أحتاج إلى ثمانى ساعات فى فراشى قبل أن أعود أنا أنا .. لكن هيهات ! ليس هذا الترف حقًا لأمثالى ..

وعند شقة الأستاذ (زكريا) تذكرت ..

الكرة الشوكية .. لقد سقطت منى ها هنا حين أرحت رأس (هن ـ تشو) على ركبتى .. لكنها لم تعد هنالك .. أريدها .. فهى لم تزل تحوى بعض تلك المادة المشئومة ، وأملى كبير فى أن أحللها وأجد الترياق ..

ولكن ..

أين هى ؟..

من أخذها ؟.. ومتى ؟.. ولماذا ؟..

* * *

العاشرة ـ صباح اليوم الرابع من (جونو) ..

بدأت الأرض تحتشد ..

الغبار الأحمر يتعالى ويتعالى أمام عينى (هن ـ تشو ـ كان) الذاهلتين ..

لكن الصوت كان مستمرًا :

« اخضع أيها المحارب !.. اخضع ! » ..

لم يكن قد فهم بعد .. لكنه أيقن أن هذا الغبار الأحمر كائن حىّ !..

كائن حىّ غاضب .. ويهاجمه !..

« اخضع أيها المحارب !.. اخضع ! » ..

حتى بالنسبة لمحارب (نافاراى) ـ سيد جهازه العصبى ـ كان هذا كثيرًا جدًا ، وشعر (هن ـ تشو ـ كان) أن وعيه يتسرب منه ..

« اخضع أيها المحارب !.. اخضع ! » ..

تحفّز الفتى فى وقفته .. أين ذهب ثلاثة الفرسان ؟..

إنهم يحيطون به من ثلاث نواح ، على حين يغلق التلّ الأحمر الوليد الناحية الرابعة ..

لقد أحكموا حصاره فلا جدوى من الحركات البهلوانية ..

وهنا سمع صوتًا هائلًا يصرخ :

ـ « الموت للخان ! » ..

وبرز رجلان يمتطيان ما يشبه الخيول البيض .. لكن هذه الخيول لم تكن ذات أقدام .. بل هى أقرب إلى أطياف بيضاء تحوم فوق الرمال مرفرفة بجناحين سميكين كأجنحة الوطاويط ..

ورأى أول الرجلين ..

كان عارى الجذع يكشف عن عضلات هائلة (لكنها قرمزية اللون) ، وكان رأسه يتربع على كتفيه كبيضة عملاقة بلا تجاويف ولا معالم !..

وفى يده كان لسان من الوميض ـ كالكهرباء ـ يرسل شرارًا فى كل اتجاه ..

وإذا الرجل يصيح صيحة واحدة ، ويقذف هذا اللسان على أحد الفرسان ..

عندئذ .. تصاعد الشرر الأزرق فى كل صوب ..

ولمح (هن ـ تشو ـ كان) الفارس يتفحّم .. ينكمش .. يتضاءل فى دروعه ..

ثم يتحول ـ وما يركبه ـ إلى غبار فوسفورى أخضر ..

إذن فهذان الرجلان ـ مهما كان من غرابتهما ـ صديقان ..

ورأى (هن ـ تشو ـ كان) تل الغبار الأحمر يغوص ..

ثم يزحف نحو الرجلين ليخسف الأرض من تحتهما أو يعرقل جواديهما ..

لكن الخيول ارتفعت برشاقة فوق التل ..

ولسعة برق قاتلة أصابت فارسًا آخر فتفحم ..

حاول (هن ـ تشو ـ كان) أن يركض ليلحق بالرجلين المنقذين ، لكن الفارس الثالث الباقى على قيد الحياة اعترض طريقه ..

يا للهول !.. يا للضخامة !..

كابوس يركب كابوسًا وهو يطل عليه من أعلى دون رأس ..

ولشدة الذعر أدرك (هن ـ تشو ـ كان) أن هذه الزخارف التى تملأ حلّة الفارس لم تكن سوى مئات العيون الجاحظة المحمرة كلها ترمقه فى مقت وتركيز !..

أما ما حسبه حزامًا مزخرفًا فلم يك سوى فم كبير فاغر تحفه الأنياب القاطعة المشرعة .. فم يتوسط بطن هذا المسخ !..

ومن ذراع المسخ اندفعت أجسام أسطوانية ـ كأنابيب دقيقة ـ قاصدة وجه (هن ـ تشو ـ كان) ..

عندئذ أدرك هذا فى هلع ما يحدث ..

لقد كان الكائن قادرًا على تحريك أوردته ليمتصَّ بها دماء الأعداء !..

أى كابوس هذا ؟!..

هناك حيث وقف فى كون يسوده الظلام ، على رمال حمراء دموية براقة ، يواجه مسوخًا بلا وجه ، ويدافع عنه رجلان يركبان حصانين مجنحين ..

هناك أدرك أنه يهلوس .. حتمًا يهلوس ..

لابد أن هناك من دسّ له أفيونًا أو قنبًا هنديًا فى طعامه ..

لكن الوريد ثبت نفسه على ذراعه ، فكان الألم مريعًا ..

إن هذا الكابوس يؤلم إذن ..

ولكن كيف يؤذيك شىء لا تقدر على لمسه ؟.. مستحيل !..

لمْ تطل حيرته لأن أحد الرجلين المنقذين مرّ بجوارهما ..

فأطلق لسانًا من البرق دمّر الفارس المسوخى تمامًا ..

وسقط (هن ـ تشو ـ كان) على الأرض الحمراء يرتجف ..

لقد ساد الصمت .. واختفى الجبل الأحمر ..

وهنا وجد ثلاثة وطاويط خضراء اللون تحوم فى دوائر متصلة صاعدة لأعلى .. لأعلى وهى تصدر صريرًا مروعًا .. حتى تلاشت ..

أدرك ـ دون جهد ـ أنها ترمز لأرواح الفرسان الثلاثة ..

وحين عاد قلبه ينبض ..

وحين استطاع أن يقف على قدميه ..

وحين وجدت الحروف سبيلها إلى لسانه الجاف ..
كان أول ما قاله هو :

ـ أين أنا ؟

ـ أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث تترك الأوهام آثار خطاها فوق الرمال الحمراء ..

ـ أين أنا ؟

ـ أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث تفنى الحقائق وتحيا الأحلام ..

ـ أين أنا ؟

ـ أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث الرجال رجال حقًا ..

كان الكلام يتردد فى ذهنه دون أن يدرك مصدره .. هو نوع من (التخاطر) الذى تعلمه فى (التبت) إذن .. ولهذا لم تكن ثمة صعوبات فى الترجمة ..

ـ ومن أنتم ؟

ـ نحن رجلان من (الراموس) ألد أعداء الخان ..

رفع رأسه نحو السماء فرأى الخطوط الزرقاء قد ازدادت عددًا حتى ملأت أكثرها .. أدرك ـ فى هلع ـ أن لحظة ما آتية حين لا يصير فى السماء موضع لخط آخر وتستحيل كلها زرقاء ..

أما الأكثر رعبًا فهو مصدر الخطوط ..

لقد كان هذا عنكبوتًا عملاقًا قرمزى اللون يثبت أقدامه الثمانية إلى قبة السماء عاكفًا على إفراز المزيد من الخطوط الزرقاء ..

ـ أعنكبوتًا هائل الحجم أرى ؟

ـ أنت تراه كذا .. ونحن نراه شيئًا آخر !

ـ مستحيل !.. ألا تريان نفس ما أراه ؟

ـ أنت فى (زانادو) حيث كوابيسك حقيقية .. وكوابيسك ليست كوابيسنا ..

عندئذ بدأ يفهم ..

إن مشهد الفرسان الثلاثة عديمى الرءوس كان كابوسًا يطارده فى صباه .. بنفس التفاصيل تقريبًا ..

★ ★ ★

يومها نهضت من الفراش مولولًا صارخًا :

ـ « الفرسان بلا رءوس !.. بلا رءوس ! » .

تقلب الأخ (ميانج) فى فراشه الأرضى الملاصق لك ووضع يده على جبينك وغمغم :

ـ لا تخف أيها (الزهرة الزرقاء) .. لا تخف .. إن الشياطين لا تجد ثغرة إلى النفوس الشجاعة إلا حين يغلفها الكرى ..

ـ « لقد فتت الذعر جسارتى »..



لقد كان هذا عنكبوتًا عملاقًا قرمزى اللون يثبت أقدامه الثمانية إلى قبة السماء عاكفًا على إفراز المزيد من الخطوط الزرقاء ..

ـ ، فى الغد ـ حين تتسربل بأغطيتك ـ فلتقسم لنفسك إنك لن تخاف .. ولئن فغر الخطر فاه فأدخل رأسك فيه .. لئن غزا الخطر قلبك فاغزُ قلبه .. لئن جرى الخطر خلفك فلتتوقف .. انتظره ! ، ..

★ ★ ★

إذن لم يكن كل ما رأيته سوى انعكاس لكابوس قديم .. كابوس منسى منذ الصبا ..

ـ لكنكما رأيتما الفرسان مثلى ؟

هتف أحد الفارسين وهو يدور بحصانه المجنح حول الفتى :

ـ أنت رأيتهم فرسانًا ، أما أنا فرأيتهم نمورًا سيفية الأسنان تحاصرك .. وأخى رآهم كريات من اللهب تحاول حرقك .. ، أنت فى (زانادو) أيها المحارب ، فلا تثق بعينيك .. ثق بعقلك .. ثق بغريزتك ..

ـ وهل ـ حقًا ـ الغبار الذى نقف عليه أحمر اللون ؟.. والسماء سوداء تقطعها خطوط من الأزرق ؟.. وهل لونكما قرمزى ووجهكما بلا ملامح ؟

ـ أنت في (زانادو) أيها المحارب .. أنا أراك تتلوى كأفعى .. وأراك فى بحر من المياه الخضراء .. ، أخى يراك صنمًا حجريًا تحيط به النيران .. لا تثق بعينيك أيها المحارب .. ثق بإدراكك ..

- ومن هو الخان العظيم ؟

- هو كل شىء مفزع مقيت فى هذا العالم .. الخان هو المرض والوهن والجوع ..

الخان هو الألم والقسوة والجبن ..

- وهؤلاء .. هؤلاء الفرسان أو النمور أو كريات اللهب .. هم جنوده ؟

- بل هم هو ذاته ..!.. إن الخان هو كل شىء كريه فى هذا العالم ..

- وأنتم ؟.. ثوار عليه ؟..

- نحن متمردون على الاندماج فى ذات الشر ..

وهنا ارتجفت شفتا الفتى .. جاء وقت أكثر الأسئلة قسوة :

- كيف جئت أنا إلى هذا العالم ؟.. ولماذا ؟.. وكيف أعود منه ؟.. ثم - أرجوكما أن تصارحانى - هل أنا ميت فى دنيا الأشباح ؟

بتؤدة دوى الصوت فى ذهنه :

- لا أيها المحارب .. أنت لم تمت .. لكنك تحتاج لكل فنون (النافاراى) كى تعود لعالمك ..

وستقول لك كيف ..

....

* * *

الرابعة والربع - صباح اليوم السادس من مايو ..

أخيرًا - بعد بحث دام ربع الساعة - وجدت ضالتى ..

كانت الكرة الشوكية قد سقطت عبر (الدرابزين) إلى بئر السلم السفلى ..

وعلى ضوء لهيب قداحتى وجدتها .. ، ولففتها فى منديل صغير ..

أما سبب سقوطها هناك فبسيط جدًا ..

قط صغير تعس الحظ منكود الطالع صعد فى سلم الدار ووجد الكرة ، واعتبرها - ذلك المعتوه - كرة خيط برينة .. عابثها بوسادة قدمه فجرحته .. ثم سقطت إلى حيث وجدتها أنا ..

وبالطبع كانت جثة القط ممددة إلى جوار أحد الأبواب الموصدة مما جعلنى أفهم القصة كلها ..

الطريف هنا أنه كان حيًا يتنفس ، لكنه مصاب بذات الغيبوبة المشئومة مما دلنى على أن هذا السمّ ليس معتمدًا على الجرعة .. فالجرعة التى تخدر رجلًا ناضجًا مثل (هن - تشو - كان) لابد أن تقتل قطًا صغيرًا لو كان هذا اسمًا مألوفًا ..

على كل حال لقد منحنا هذا القط فرصة أخرى ..

سيكون نموذجًا حيوانيًا نجرب عليه أى علاج قبل أن نعطيه للكاهن الأخير .. ، ولربما احتجنا إلى تشريحه لمعرفة ما دهاه ..

احتضنته فى رفق صاعدًا إلى شقتى ، وأرحت جسده فى علبة من الورق المقوى ابتعت فيها حذائى الأخير .. ثم انتزعت حذائى وارتميت على الفراش بكامل ثيابى ، ولا داعى لأن تؤكد لى أن الفراش لا يعلو ويهبط لأننى واثق أنه كذلك .. أكاد أقسم إنه كذلك ......

أنا مُنهك .. مُنهـ ......

★ ★ ★

ريفاااااااات ! ..

من أنت ؟..

ألا تعرفنى ؟.. أنا (الزهرة الزرقاء) .. (هن ـ تشو ـ كان) .. الأخرس .. الكاهن الأخير .. كل هذه الأسماء هى أنا ..

أعرفك .. لكنى لا أصدق أنك هنا ..

بل يجب أن تصدقنى يا ريفاااااات !.. لا يوجد وقت نضيعه ..

ماذا قد أصابك يا (هن ـ تشو ـ كان) ؟

إنها لعنة (السيرجانتا) .. المنفى الإجبارى لأعداء (النافاراى) .. (جينغ ـ تشا) عرف السرّ .. عرفه من كتاب (شوكارا) وتمكن من تحضير تعويذة (السيرجانتا) من جذور أشجار (السرو) ..

ولقد أعدّ لى الكرة الشوكية وملأها بالسائل كى يرسلنى ـ إذا ما هُزم أمامى ـ إلى أرض المنفى حيث لا أموت ولا أحيا ..

لكن الكتاب كان معك يا (هن ـ تشو ـ كان) طيلة الوقت ..

ليس بتلك الصفحة المشئومة يا (ريفاااات) .. إن كل صفحة من كتاب (الشوكارا) تحوى سرًا سرمديًا .. وقد كانت الصفحة تحوى أسلوب (شانكين) وأسلوب (سيرجانتا) معًا .. الصفحة التى تركتها فى الدير حين جئت إلى عالمكم ..

(ريفاااات) !.. يجب أن تفعل شيئًا ......

وماذا أفعل أيها الكاهن الأخير ؟.. أخبرنى بأسلوب مقاومة هذا السمّ ..

للأسف أنا لا أعرفه .. لكنك حكيم وتستطيع أن تجده فى كتاب (الشوكارا) !..

أنت لا تفهم أيها الكاهن الأخير .. الكتاب لم يعد معى ..

أخذه (جينغ ـ تشا) إلى عالم ناء لا أعرفه .. لم يكن قد قضى نحبه حين رحلت أنت .. دعك من أن الكتاب مكتوب بلغة (التبت) القديمة .. ، وفهم كلماته مستحيل ..

ـ ماذا تقول ؟.. الكتاب مع (جينغ ـ تشا) ؟.. إذن الويل ثم الويل !..

الويل لكل البلدان فى كل الأزمان .. إن من يملك (الشوكارا) يستطيع حكم العالم .. ولقد كان الكتاب فى يد (النافاراى) قرونًا فاستخدموه بحكمة واقتصاد .. أما اليوم .. فقد صنعوا للنمس بابًا فى مسكن الدجاج !..

ـ وماذا أفعل إذن يا (هن ـ تشو ـ كان) ؟..

ـ لا أدرى يا (ريفاااات) .. لكننى أعرف أن (جينغ ـ تشا) سيبحث عنى ويحاول تدميرى .. لن يهدأ له بال حتى يتم تدميرى ..

أنا آخر (نافاراى) .. ومهما كان فأنا مازلت حيًا وقادرًا على الفرار من منفاى لمواجهته .. لهذا سيحاول أن يجدنى وأن يفنينى ..

سأحاول أن أخاطبك بروحى يا (ريفاااات) كلما أسلمت

روحك للجة النعاس لأنها تكون شفافة كمياه (اليانج تسى) إبان الفيضان ..

احرص على النوم أكثر ساعات النهار ..

وعندئذ سأخبرك بما أبتغى من أرض الواقع ..

ـ والآن وداعًا يا (ريفاااات) !..

ـ وداعًا (هن ـ تشو ـ كان) !..

ـ وداعًا ....

* * *

وكذا صحوت من نومى غارقًا فى العرق البارد ..

الأرقام الفوسفورية على ميناء المنبه تشير إلى السادسة صباحًا ..

صوت شقشقة الطيور بالخارج تتبادل السباب المموسق ..

هل حقًا كان كل هذا حلمًا ؟..

مستحيل .. لم أر حلمًا بكل هذا الوضوح والشفافية فى حياتى .. ولم أر حلمًا بهذا الترابط المنطقى ..

أنا واثق من أننى تحولت خلال نومى إلى جهاز إرسال واستقبال لاسلكى لموجات أثيرية بثها لى الكاهن الأخير من مكان ما ..

على كل حال سأتبع أسلوب (فرويد) الشهير ..

أمسكت بالقلم و (الأجندة) وبخط لا يُقرأ شخبطت ملخصًا سريعًا لكل ما قيل وما سمعت فى منامى كى أتذكره حين أصحو صباحًا ..

وألقيت برأسى على الوسادة ـ كالصخرة ـ لأواصل نومًا بلا أحلام ..

حتى الثامنة صباحًا حين ...

حين وثبت جثة القط من الصندوق ....

* * *

الستون ـ صباح اليوم الأول من (جاسكا) ..

فى (زانادو) لا توجد أعوام ..

الحياة كلها عام واحد طويل .. فلم يتكرر شهر واحد منذ وُجد (زانادو) ..

أما عن اسم كل شهر فوليد الخاطر .. يمكنك أن تسميه (جورو) أو (جاسكا) أو (هسبراد) أو حتى (ميكى ماوس) .. لا فارق هنالك ..

الأدهى أن كل شخص يملك إنهاء شهره بنفسه وفى اللحظة التى يخطر له فيها ذلك .. لذلك قد يحوى اليوم الواحد عشرة شهور !..

الخلاصة : لا وجود لزمن موحد فى (زانادو) ..

ويعتمد قياس ساعات النهار على عدد الخطوط الزرقاء التى ينسجها فى السماء ذلك العنكبوت العملاق (أو على الأقل هذا ما رآه الكاهن الأخير) ..

فيبدأ اليوم بخط واحد وينتهى بالسماء وقد صارت سجادة زرقاء ..

* * *

معسكر الثوار ..

ليس معسكرًا بالمعنى المتفق عليه .. فهناك بعض النيران الخضراء مشتعلة فى الرمال ، وهناك نهر قرمزى اللون يترقرق فوق الرءوس .. وهناك خيول بيضاء محلقة بلا أقدام .. وهناك مخ كبير بحجم الجبل تذوب أطرافه ، وتغلى مادته العضوية طيلة الوقت ..

ومن حين لآخر تلتمع ومضة كهربية عبر نسيج المخ فترد عليها ومضات أخرى ويغرق المكان فى ضوء أحمر عجيب ..

وكان هناك عدد من الفرسان ذوى الرءوس الشبيهة بالبيض والأجسام القرمزية المفتولة ، يروحون هنا وهناك ، يتلمسون المخ العملاق ، فتضىء رءوسهم بالضوء الأحمر .. ثم ينفصلون ويهيمون من جديد ..

ولم يحاول (هن ـ تشو ـ كان) إقناع نفسه أنه يحلم ..

فهو يعرف تمامًا أنه ما من عقل بشرى قادر على الحلم بكل هذا ..

* * *

أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث تفنى الحقائق وتحيا الأحلام ..

* * *

لم يكن يحلم ..

وبفطرته الصادقة أدرك أن هذا المخ العملاق هو زعيم الثوار ..

دنا منه ببطء وتروّ .. ثم توقف على بعد أمتار ، وأجفل حين رأى المادة اللزجة السائلة تنساب لتحيط بقدميه كأنها تتفحصهما .. ثم :

ـ أنت نبيل أيها المحارب .. لك روح نسر وقلب نمر ..

لم يدر بمَ يردّ .. كان الصوت ينساب بلزوجة فى روحه :

ـ يا لدمائك الحارة الفتيّة !.. لكم يتواثب قلبك فى صدرك !.. أنت خائف أيها المحارب !

وبدأت المادة اللزجة الفائرة تتسلق ساقه فى بطء ..

همس (هن ـ تشو ـ كان) محاولاً أن يبدو حازمًا لا خائفًا :

ـ هلا شرحت لى كل هذا ؟.. تبدو لى أكثرهم علمًا ..

اندلع صوت فحيح مروّع لثوان أدرك الفتى بعدها أن هذا الشىء يضحك !

ـ هيه هيه هاااااف !.. إنك أيضًا مجامل أيها المحارب .. تستطيع أن تدعونى (الأب) .. وأنت هنا ضيفى .. وبالتالى أنت ابنى ..

أحس الفتى بقشعريرة حاول أن يكتمها عن هذا الوحش قارئ الأفكار .. ويل لك أيها (الزهرة الزرقاء) .. أنت فى عالم يبدو فيه الخير هكذا .. فكيف يكون الشرّ إذن ؟.. وإذا كان زعيم الثوار مرعبًا إلى هذا الحدّ .. فكيف يكون الخان الذى ثار عليه ؟!..

كان (الأب) قد تلقى هذا الخاطر بالفعل لأنه أجاب فى تؤدة بصوته اللزج الجشع كماء يتسرب عبر ثقب فى الصخور :

ـ إن الخان هو كل شىء شرير فى هذا العالم .. أنت لا تستطيع فهم ذلك .. لكنه صحيح .. الخان هو النار التى تحرقك والرمال التى تبتلعك والسهم الذى سيغيب فى صدرك .. ، ونحن (الراموس) نحاول أن نظل بمنأى عن سلطانه وألا ننمحى فى ذاته الكريهة ..

ـ ولكن كيف ؟

ـ بالإرادة .. نحن مصممون على التفرّد ومقاومة كل كوابيسه وألاعيبه .. وطالما لم تستسلم ستظل الحرب شعواء ، ونظل نحن نعيش حياة الخطر .. أنت كدت تستسلم له أيها المحارب ، وكادت الرمال الحمراء تبتلعك للأبد لولا أن أرسلت لك اثنين من أفضل أبنائى كى يعززا إرادتك وقدرتك على الصمود ..

كانت المادة اللزجة عند عنقه الآن .. لكنه قاوم الغثيان وهمس :

ـ وماذا أتى بى هنا ؟

ـ هاااااف ! هاااااف !.. قليلون هم (النافاراى) الذين جاءوا لعالمنا بعد أن تسمموا بتعويذة (السيرجانتا) .. لكن أحدًا منهم لم يعد لعالم الواقع قط .. أنت آخر ضيوفى وستظل هنا تقاوم الخان معنا أو تفنى فى ذاته القذرة ..

ـ إذن أنا لم أمت ..

ـ بالطبع لا .. أنت فى كابوس لن ينتهى إلا بالنصر أو بهلاكك الحقيقى فى عالم الواقع ..

ـ وماذا تريدون منى ؟

انساب الصوت فى ازدراء :

ـ أنت الواقع الوحيد فى (زانادو) أما الباقون فأوهام .. ولهذا يمكنك أن تنجح فيما لا ينجح فيه الوهم ..

وهنا تمسح شىء فى قدم (هن ـ تشو ـ كان) فأجفل .. ثم دقق النظر ..

فإذا به قط .. قطٌ صغير رمادى اللون مبرقش ببقع سوداء .. كان خائفًا مرتجفًا .. يموء بأسلوب يمزق نياط القلوب ..

انحنى (هن - تشو - كان) لأسفل وحمل القط الصغير بين أصابعه وتأمله في لهفة .. إنها أول مرة يرى فيها كائنًا طبيعيًا منذ وطأ هذا الكابوس ..

وتساءل بحيرة :

- ما هذا القط ؟

- أنت تراه قطًا وأنا أراه حزمة من الدخان .. لا يهمّ .. المهم أنه وافد جديد إلى (زانادو) ، ولعله أصيب بلعنة (السيرجانتا) هو الآخر ..

ليكونن هذا أخاك إذن ..

استجمع (هن - تشو - كان) أعصابه .. كانت المادة اللزجة قد انسحبت بعيدًا عن عنقه لحسن الحظ ، فهدأ بالًا .. وقال :

- أعرف أن (جينغ - تشا) أرسلني إلى هنا .. فما هدفه ؟.. لماذا لم يقتلني فورًا وكان ذلك باستطاعته ..

- الانتقام هو ما أراده .. والانتقام هو ما ناله .. الموت راحة لا يريدها لك ، و (السيرجانتا) أسلوب تعذيب شيطاني قلما يجد شرير خيرًا منه ..

- الذئب !.. سأعود وأذيقه الويل .. أقسم على هذا برءوس أجدادي ..



وهنا تمسح شيء في قدم (هن - تشو - كان) فأجفل .. لم دقق النظر .. فإذا به قط .. كان خائفًا مرتجفًا

ازداد غليان المخ العملاق ، وتزايد الضوء الأحمر المنبعث منه إلى حدّ جعل (هن ـ تشو ـ كان) يدارى عينيه ..

ـ ماذا حدث أيها الأب ؟..

ـ الخان !.. إنه راض إلى حدّ كبير .. أشعر بهذا وأحسه .. إن هذا لا يريحنى ..

وهنا حدث شىء جعل الكاهن الأخير ينتفض ..

ووثب القط من يده فى هياج مفاجئ ..

* * *

الثامنة ـ صباح اليوم السادس من مايو ..

للحظة توقف قلبى عن العمل ، ومعه توقفت كل وظائفى الحيوية ..

لقد صحوت على صوت مواء خفيف ثم فتحت عينى لأرى القط الصغير يثب ـ وهو مرتخى الجسد كما كان ـ من صندوقه الورقى ..

وثبت أنا الآخر من الفراش ، ووقفت على بعد متر من موضعه غير متجاسر على الاقتراب أكثر .. كذئب يتطلع فى فضول ورعب إلى نار تتلظى ..

كان يختلج .. يختلج كنائم يرى كابوسًا ..

دام هذا بضع ثوان ثم عاد لغيبوبته الهادئة المنتظمة ..

وفى هذه المرة كان عندى الدليل المادى الذى لا يُدحض على أننى لا أُخرف أو أحلم ..

فجثة القط قد كانت بالعلبة ولم تعد فيها ..

احتجت لبضع دقائق حتى أتمالك نفسى وألتقط الجسد الصغير وأعيده إلى الصندوق .. وعلى الرغم منى غسلت يدى مرارًا بالصابون والماء فالكحول ..

ثم إننى ارتديت ثيابى ، ودسست الكرة الشوكية

والصندوق فى ورقة جريدة .. ونزلت لأركب سيارتى حاملًا هذين الشيئين العجيبين .. قاصدًا المستشفى لأرى ما حدث هنالك ..

أتعشم ألا أجد فراشًا خاويًا أو جثة مغطاة بملاءة بيضاء ..

★ ★ ★

وقفت أرمق الفتى الممدد وسط خراطيم المحاليل وخراطيم الأكسجين وخراطيم البول .. خيل إلىّ أننى أرى أخطبوطًا أو كائنًا فضائيًا ..

ولاحظت أن الطبيب النوبتجى عاكف على تثبيت تلك الخراطيم بالشريط اللاصق مما دلنى على أنها كانت منزوعة ..

سألته فى فتور عما إذا كان المريض قد تحرك .. فأجاب :

ـ عمليًا لم يتحرك بل وثب من فراشه منتزعًا كل شىء .. ثم همد مرة أخرى ..

ـ غريب !..

ـ مهما كان نوع هذه الغيبوبة فهى لا تجلب له السعادة ..

هززت كتفى مؤمنًا .. وتأملت الفتى ..

أنت الوحيد ـ يا (هن ـ تشو ـ كان) ـ الذى يعرف معنى ما يحدث لك ..

وأنت الوحيد الذى يعرف كيفية إنقاذك .. لكنى ـ أعدك ـ لن أيأس ..

وسأظل معك حتى يعلن الأطباء توقف تنفسك ويحصلون على رسم قلب ورسم مخ مُسطَحين .. ثالوث الموت الشهير .. عندئذ ـ أعدك ـ سأبكى قليلًا وأشعر بالكآبة إلى حدٍ ما .. وأكتب قصتك .. ثم أنسى الأمر برمّته !

ـ هل أحضرت الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة ؟!

اللعنة !.. مشرفة التمريض اللحوح تطاردنى !..

إن هذه المرأة لا تيئس .. نظرت لها نظرة صارمة فقابلتها بنظرة وقحة ..

ثم إننى فارقتها متجهًا إلى كلية الصيدلة لأعرض ما معى على د . (صبحى) ـ ومن غيره ؟ ـ ليحدس طبيعة السمّ ..

قال لى فى تعاسة (فلم يكن قد أفاق من أثر النعاس بعد) :

ـ تحليل كروماتوجرافى جديد ؟.. ألا تفعل شيئًا سوى جمع السوائل المريبة وإحضارها لى لأعرف كنهها ؟

ـ بلى ..

قلتها وأنا أشعل لفافة تبغ .. وأضع الكرة الشوكية على النضد .. وأردفت :

ـ لو كنت أعرف سبيلًا آخر لاتخذته .. خذ الحذر لأن هذه الأشواك قاتلة .. كذا !.. سأعتصرها بالجفت فى أنبوب اختبار كما تُحلب الأفاعى .. هيه !.. سأقوم بهذا العمل لك .. فقط ناولنى أنبوبًا ..

وملأت له نصف الأنبوب بالمادة الخضراء .. ثم ألقيت بالكرة الشوكية الفارغة فى الفرن العملاق الذى يجففون فيه الأوانى .. لا أريد ضحايا آخرين لهذه الكرة .. يكفيها راهب (نافاراى) وقط لهذا اليوم ..

على وعد بالإسراع فى العمل فارقته ، عائدًا إلى المستشفى عساى أجد شيئًا جديدًا .. لكنى لم أدخلها ..

واستندت إلى السور وأخرجت مفكرتى لأستعيد ـ على ضوء الصباح ويقظته ـ ما قاله لى (هن ـ تشو ـ كان) فى الحلم .. أو الرسالة التى أراد إيصالها لى ..

لخصت ما قاله لى فى بضع نقاط :

١ ـ هذا الشىء الذى يحدث اسمه (سيرجانتا) .

٢ ـ هو مذكور بالتفصيل الممل فى كتاب الـ (شوكارا) .

٣ ـ السمّ مستخلص من جذور نبات (السرو) .

٤ ـ (هن ـ تشو ـ كان) لا يعرف سبيل الشفاء .

٥ ـ (جينغ ـ تشا) وغد .

٦ ـ يجب أن أنام أكثر لأن (هن ـ تشو ـ كان) سيتصل بى فى أثناء النوم .

راقت لى ـ بشكل خاص ـ النصيحة الأخيرة ، لكن الوقت ليس مناسبًا لكل هذا ..

ثمة أشياء ينبغى عملها أولًا ..

انطلقت بسيارتى إلى سفارة (الصين الشعبية) ، وطلبت مقابلة الملحق الثقافى الخاص بها .. وقمت بتقديم ما يثبت شخصيتى ..

أدخلونى إلى مكتب ملىء بصور (ماو ـ تسى ـ تونج) حاملًا كتابه الأحمر الشهير ، وخلفه يجلس رجل أصلع الرأس متأنق صغير الحجم نزع منظاره حين رآنى ، ونهض مصافحًا ثم دعانى للجلوس .. حاول أن يبدأ حملة الدعاية لبلاده ، لكنى كنت متعجلًا للوصول إلى نتائج ..

سألته وأنا أجرع الشاى الأخضر الذى قدمه لى من (ترموس) صغير :

ـ كنت ـ بحكم عملى ـ أبحث عن كتابات عن الطب التقليدى الصينى ..

بإنجليزية جيدة . تساءل :

ـ آها !.. طب تقليدى ؟.. تعنى (شعبى) ؟

ـ نعم .. نعم .. طب الأعشاب وخلافه ..

مرة أخرى نزع منظاره ليتفحصني فى ارتياب :

ـ آها !.. اهتمام مبكر ..!.. طب أعشاب فى العاشرة صباحًا !.. يا له من حماس !

ـ إنها اللهفة العلمية كما تعلمون ..

ثم قررت أن أكون أكثر وضوحًا :

ـ ما هى استخدامات جذور (السرو) فى الطب التقليدى الصينى ؟..

فرك كفيه فى حيرة .. وتأمل رفًا يزخر بالكتب خلفه .. ثم غمغم :

ـ قلت إن اسمك البروفسور (رفعت) ؟.. حسن يا بروفسور ..

إن هذا الطلب غير تقليدى ويحتاج لبحث مطوّل .. ثم إننى لن أعطيك كتابًا باللغة الصينية طبعًا .. يجب أن أترجم لك النصّ ..

وعلى كل .. هى هى ! (ضحكة متكلفة) .. يمكننا أن .. هى هى !.. نتصل بكم إذا كان .. هى هى !.. لدينا رقم هاتفكم الموقر ..

تركت له رقم الهاتف .. وشكرته كثيرًا على لا شىء ..

وغادرت السفارة شاعرًا بالضياع .. غير عالم لأين أذهب وماذا أعمل ..

لقد اختل روتين حياتى فلم أعد أذكر كيف كنت أمضى أيامى قبل أن أبتلى بهذين (النافاراى) اللذين دخلا حياتى ليفسداها ..

★ ★ ★

وكذا يا إخوان لكم أن تراهنوا على أننى أمضيت ساعات يومى هنا وهناك ، ما بين المستشفى والبيت وأماكن أخرى لا أذكرها ..

ثم ـ وقد تذكرت نصيحة الفتى ـ عدت لدارى عصرًا واندسست فى فراشى ، طالبًا النعاس لأكون (شفافًا كمياه اليانج ـ تسى إبان الفيضان) على حدّ قول الفتى ..

والنعاس قطّ .. متى حاولت الإمساك به راوغك .. فإن نسيته جاء يتمسح فى ساقيك .. ، وقد كنت أحاول الإمساك به ..

أذان المغرب .. لن أستطيع أن أزعم لنفسى أننى لم أسمعه .. ، نهضت للوضوء .. وصليت ثم أعددت لنفسى وجبة شنيعة المذاق جلست ألتهمها على عجل فى المطبخ ..

وهنا دق جرس الهاتف فهرعت لأردّ متوقعًا خبرًا هامًا .. ولكن ..

ـ مشرفة التمريض تؤكد أنك لم تدفع الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة !

ـ سحقًا !

وأطلقت سيلًا من السباب ـ المقذع للأسف ـ ثم أشعلت لفافة تبغ ..

وجلست أسعل وقد تذكرت أنها علبتى الثالثة لهذا اليوم .. لو لم أصب بسرطان الرئة أو الحنجرة أو كليهما خلال أسبوع لعددتُ نفسى محظوظًا ..

الحق أن هذا الاختراع المدمّر قد توغل فى حياتي إلى حدّ مرعب .. أدخن حين أفرح وأدخن حين أحزن .. أدخن حين أنهمك وأدخن حين أشكو الفراغ .. قبل الأكل وبعده .. قبل النوم وعند الاستيقاظ .. و ..... لكنى بلا حيلة تقريبًا .. نقص السجائر يصيبنى بشعور ممض من الوحشة ..

نعم .. الوحشة هى الكلمة التى تعبر عن هذا .....

الحقّ أننى .....

تررررن !.. تررررن !..

هذه المرة لا بد من شيء جديد ..

رفعت سماعة الهاتف وقلبى يخفق فى فمى كطبول (الزولو) :

ـ هالو !.. بروفسير (رفعت)؟.. هذا (كيم ـ شانج ـ لى) الملحق الثقـ ...

ـ نعم .. نعم !.. قل لى ما تريد فورًا ..

لقد درستُ ما ذكر عن (السرو) فى موسوعة طب الأعشاب الصينى .. وقد وجدت فقط أن أهالى (التبت)

القدامى كانوا يصطنعون منه سمًا ذا خاصية تسبب الغيبوبة ..

ـ رائع ..!.. وهل ذكر شيئًا عن الترياق ؟

ـ بالطبع لا .. هى هى !.. هى مجرد فقرة من سطرين .. ظننت أنها تهمك ..

ـ الواقع أنها هامة حقًا .. لك جزيل شكرى ..

صاح فى حماس وقد بدأ يدرك كم هو رائع :

ـ إن (جمهورية الصين الشعبية) لتوجه لك شكرها على اهتمامك المشكور بتاريخها العظيم ، وإننا لندعوك إلى المزيد من التغلغل فى ثورتنا الثقافية من أجل تحرير البروليتاريا البطلة من براثن الإمبريالية وقيود البرجوازية .. و .....

كليك !..

كنت قد وضعت سماعة الهاتف فالوقت ليس مناسبًا لدراسة الشيوعية ..

إن عندى الآن خيطًا لا بأس به ..

السمّ مستخلص من جذور (السرو) ويحدث غيبوبة قلقة .. وقد ورد فى كتب الطب الشعبى الصينى ..

هل يملك أساتذة علم السموم جوابًا على أسئلتى القلقة ؟..

* * *

العاشرة – ظهر اليوم السبعين من (ساكاريس) ..

كانت كتلة الهلام العملاقة تتدحرج بسرعة نحوهم .. مضيئة من الداخل .. شفافة .. لزجة .. سلسة الحركة إلى حدّ لا يصدّق ..

حاول (الراموس) الفرار من طريقها ..

لكنها كانت تتقدم .. فتلتحم بمن يحاول الهرب وتبتلعه داخلها ..

عندئذ كنت ترى جسده المتلوى عبر المادة الشفافة ..

ثم – بعد ثانية – ترى هيكله الداخلى وهو يذوب بالتدريج حتى يتلاشى نهائيًا ..

وتتضخم المادة أكثر فأكثر ..

إن قوام هذه الكتلة هو مئات الأجساد التى ذابت فيها منذ وُجدت ..

وها هى ذى الكتلة تقترب من الموضع الذى وقف فيه (الأب) و (هن – تشو – كان) ..

★ ★ ★

أنت فى (زانادو) حيث تحيا الظلال على دماء الموتى .. وحيث يمزج الرعب خمر الفناء لمن ضلّوا السبيل ..

★ ★ ★

كان (الراموس) يتعثرون فيسقطون تحت الكتلة المريعة ..

وفى أغوار عقله سمع الفتى صوت (الأب) المتحشرج المريع يهتف :

– اللعنة !.. لقد أرسل الخان الأخطبوط !

– لكننى أرى أن هذه كتلة هلامية ليس إلا ..

– تنسى دائمًا أنك فى (زانادو) حيث يرى كل منا ما يخافه .. هناك خطر داهم وكفى !.. لاتستسلموا يا أولادى !.. قاوموا الاندماج !

لكن الخطر كان أقوى هذه المرة من أية مقاومة ..

الخيول المجنحة تصيح .. وتحاول الفرار ..

الأفق يتحول إلى مساحة شاسعة من الشعر الرمادى الأشهب كأنه ذنب عملاق يتكئ بصدره على الكون .. ، أما السماء فاستحالت للون أحمر داكن ..

وعند قدمى (هن – تشو – كان) صار القط نبتة صبار مذعورة !..

واندلع لسان من اللهب من منخرى الفتى ..

إنها لهلوسة مريعة تفوق كل ما رأى وسمع ..

لكنه لم يفقد إرادته بعد ..

– قاوم أيها المحارب .. قاوم .. إنها معركتك الأخيرة ..

قالها المخ العملاق وهو يرسل الشرر من حوله ، وسرعة ذوبانه تتضاعف ، وفقاقيع حمراء اللون تتزايد فوق نسيجه ..

* * *

عندما تغرب الشمس .. وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر (النافاراى) ..

* * *

وثب (هن ـ تشو ـ كان) فى الهواء فوق الكتلة الهلامية .. دار نصف دورة ثم هبط على قدميه خلفها .. شعر بها تتراجع وتتمدد محاولة لمسه ..

فوثب فى الهواء مكررًا ما قام به ..

لكنه تعثر هذه المرة .. تخللت التربة الحمراء عن قدميه .. ووجد نفسه على الأرض بينما المادة اللزجة تزحف فوق صدره قاصدة وجهه فى جشع ..

* * *

« ولئن فغر الخطر فاه فأدخل رأسك فيه .. لئن غزا الخطر قلبك فاغزُ قلبه .. لئن جرى الخطر خلفك فلتتوقف .. انتظره ! » ..

* * *

إنك بداخل الكتلة الآن .. ما أعسر التنفس !

لن تدعها تهزمك .. إنها وهم .. وأنت الشيء الوحيد الحقيقى فى هذا العالم .. يجب أن تقاوم .. لاتشعرها بالذعر ..

إرادتك التى التحمت بمضاء المذنبات وأبدية النجوم لن تنهزم ..

أنت (نافاراى) .. و (النافاراى) لن يموت داخل كتلة لزجة مقززة ..

بل سيموت بسيوف أعدائه أو رماحهم ..

قاوم الذوبان .. تماسك .. اسبح نحو سطح الكتلة ..

ولكن .. هذا حق ..

إنها تتضاءل .. تتضاءل .. رأسك الآن خارجها .. ثم جاء كتفاك .. ثم بطنك .. أنت الآن حرّ ..

الكتلة تنكمش .. إنها الآن فى حجم الصخرة .. حجم قبضة اليد ..

ثم .. هى ذى بحجم الدبوس .. لقد تلاشت تمامًا ..

لقد قهرتها إرادتك إذن ..

كنت ملقى على الرمال الحمراء تلهث .. العرق يغمر صدرك ..



أنت (نافاراى) .. و (النافاراى) لن يموت داخل كتلة لزجة مقززة .. بل سيموت بسيوف أعدائه أم رماحهم .. قاوم الذوبان .. تماسك ..

لكنك كنت ترى المعسكر ومن تبقوا فيه من (راموس) .. وترى المخ العملاق المسمى بالأب .. وقد كفّ عن إصدار الشرار ..

وسمعت الصوت المتحشرج يدوّى فى أعصابك :

ـ لا بأس أيها المحارب .. لا بأس .. لقد فهمت قواعد الحرب .. وعرفت كيف تقاوم .. ومع محارب مثلك لن يكون على الخان سوى انتظار نهايته ..

ـ أنا (نافاراى) .. و (نافاراى) هذا أنا ..

هتف (هن ـ تشو ـ كان) وهو يلتقط أنفاسه المبعثرة ..

لن يزيد الأمر إذن على صراع إرادات .. وهو ـ الذى شق الصخر بكفه وحلّق فوق الأرض ـ يعرف كيف يكون صراع الإرادات ..

★ ★ ★

أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث الرجال رجال حقًا ..

★ ★ ★

وهنا لمح فى الأفق خطرًا جديدًا ..

فمن شعيرات صدر الذئب الأشهب التى اشتعلت فيها النيران ، رأى شيئًا ينحدر .. ببطء .. شيئًا هو أقرب لحلقة من النيران الخضراء ..

وإذا بالشيء يتدحرج إلى الأرض .. ثم يدور حول نفسه قاصدًا موضعه ، والنيران تتبعثر منه فى كل صوب وحدب ..

وحين تبين (هن ـ تشو ـ كان) حقيقة هذا الشيء أدرك أنه حلقة ثمانية .. حلقة ثمانية كالتى كانوا يمثلون بها تعاليم (بوذا) ..

كانت عملاقة بارتفاع خمسة رجال فى قطرها ..

وكانت تفعقع مبعثرة الهول من حولها ..

وتحفز (هن ـ تشو ـ كان) لمواجهتها .. فثبت قدميه فى الأرض .. وركّز إرادته كي يقهر إرادة الخان .. كما فعل منذ ثوان ..

العجلة تقترب .. تقترب .. ولم يحدث شيء بعد ..

يرى الآن ألسنة لهيبها وتلفحه حرارتها ويخنقه دخانها ..

لكن العجلة كانت مصممة .. قاصدة اتجاهه دون أن تدع فرصة للفهم الخاطئ ......

وهنا أحس (هن ـ تشو ـ كان) بالخطر ..

وثب فى الهواء فمرت العجلة تحت قدميه .. وشعر بنيرانها تلسع ساقيه كما لم يشعر من قبل .. وحين هبط على الغبار الأحمر البراق رآها (تفرمل) سرعتها وتدور حول محورها لترجع له معاودة الكرّة ......

بدأ يشعر أن هذا الخطر من نوع جديد ..

ليس وهمًا كله .. بل ـ ربما ـ ليس وهمًا على الإطلاق ..

إن العجلة الثمانية ليست شيئًا شائعًا فى الكوابيس ، وليست مما يستعمله الخان من أساليب ..

بل هى تكاد تكون حكرًا على من يعرفون تعاليم (بوذا) ..

نعم .. لقد وصلت للحقيقة يا (هن ـ تشو ـ كان) .. إن (جينغ ـ تشا) هنا !..

* * *

العاشرة ــ مساء اليوم السادس من مايو ..

كيف لا ينجح أسلوب معقد كهذا ؟..

ها هى ذى آلة (الغسيل الكلوى) ــ أو (الترويق الدموى) حتى لا يتضايق الإخوة العرب ــ تهدر .. على حين تتسرب دماء (هن ــ تشو ــ كان) عبر شرايينه إلى مرشح يقوم باستخلاص ما بها من سموم ثم يعيدها إلى أوردته ..

لقد مرت ساعة أو أكثر ..

ولكم يا إخوانى أن تراهنوا على عدد لفافات التبغ التى أشعلتها حيث جلست فى الاستراحة الأنيقة أنتظر .. وأتأمل المشهد من خلال حاجز زجاجى .. وأدفن سجائرى فى تلك المطفأة النحاسية القائمة التى لا تستعمل المستشفيات سواها ..

قال د . (منير) فى سخرية وهو يلقى بجسده جوارى :

ــ هل تطلب من الله ولدًا أم بنتًا ؟

يعنى أننى قلق كزوج ينتظر خارج غرفة الولادة .. مزاح سخيف طبعًا ، لهذا هززت رأسى فى اقتضاب .. وأجبت :

ــ أطلب من الله أن تصمت !..

وهنا خرجت إحدى مشرفات التمريض ودنت منى مبتسمة بوجهها الصبوح .. مما جعلنى أتفاءل نوعًا .. لكنها قالت فى كياسة :

ــ لم تدفع الثلاثمائة جنيه تأمين العناية المركزة !

لو أن النظرات تقتل لتحولت هذه الحمقاء إلى مصفاة تصلح لترشيح الزيوت .. أو شبكة تصلح لصيد الأسماك ..

وكانوا قد أخرجوا الفتى على سرير متحرك ، الغيبوبة كما هى ، لكنى أعتقد أن لونه صار أفضل (أو ربما هو خداع البصر) .. ، وفى تؤدة اقتادوه إلى فراشه حيث أعادوا تركيب الخراطيم والأنابيب ..

ــ ما رأيك ..

ــ لا أدرى .. من الصعب الإمساك بتقدم أو تأخر حالة كهذه ..

ــ كان من المفروض أن يفيق ..

ــ ربما .. وربما نحن مخطئون .. لكننا لا نملك سوى إعادة المحاولة بعد يومين ..

ومن يدرى ؟.. ربما هو فى طريقه إلى الإفاقة ..

وعدت لدارى وكأن الإحباط هو المحلول المطهِّر الذى أوضح لى كم أنا مُتعب ومُنهك .. إعياء اليوم كله طفا على سطح بركة أحاسيسى ..

لهذا دخلت الفراش وجلست على طرفه فانتزعت جلّ ثيابى .. ثم تمددت ـ نصف عار ـ فوقه ، ولا داعى مرة أخرى أن تؤكد لى أنه لا يعلو ويهبط من تحتى .. عقلى الباطن يتثاءب وينثر ثيابه فيتساقط ما بها من وجوه ..

(الكاهن الأخير) .. (دراكيولا) .. (ميدوسا) .. (إلهام) .. (عزت) .. (هويدا) .. (العساس) .. (أخيروم) .. (شاكال) .. (عادل) .. (موكاسا) .. يالها من حياة تلك التى أحياها ..! ..

إننى لشخص عجيييييب ... ، و ......

★ ★ ★

(ريفااااات) ! .. لماذا تأخرت إلى هذا الحدّ ؟

لم أستطع النوم أيها الكاهن الأخير إلا الآن .. النوم لا يأتى لمجرد أنك تريده .. هل ثمة شىء جديد ؟ ..

أنا منفى يا (ريفاااات) فى مملكة الأشباح (زانادو) أواجه الكوابيس ، فى حين تأبى أن تنام قليلًا من أجلى ؟! ..

ظننت أننى سأفيدك بعدم النوم أكثر مما أفيدك بالنوم ...

خطأ يا (ريفاااااات) .. قل لهم أن يكفوا عن العبث بجسدى وصبّ السوائل فى عروقى .. فهذا لن يفيد أبدًا إذا كنت تأبى النوم من أجله ..

إذن ندفنك وينتهى الأمر ؟ ..

تدفننى وأنا لم أمت بعد ؟ .. كل ما هناك أن وعيى رحل ..

وعيى رحل إلى مملكة الكوابيس (زانادو) .. ويوم يفرّ من هناك سأفتح عينى وأتكلم ..

وهل وعيك هو ما يحدثنى الآن من هناك ؟ ..

بل هو جزء من روحى يخاطبك .. الجزء الذى يوصّل ما بين جسدى ووعيى ..

لا أفهم شيئًا يا (هن ـ تشو ـ كان) .. الواقع أنهم يتحدثون كثيرًا عما يسمى بالـ (إن ـ دى ـ إى)(*) .. وفيه يصف المشرف على الموت ما يراه ويحسه لأن أجله لم يأت بعد .. لا أومن كثيرًا بهذا الكلام ، لكنى أتساءل عما إذا كان ما تمرّ به نوعًا من هذه الخبرات ؟ ..

أنا لا أفقه تعبيراتكم العصرية هذه ولا أجيد ترديدها .. كل ما هناك هو أن وعيى حبيس فى عالم آخر .. ويجب أن أستعيده ..

هذا جميل .. لكن كيف ؟ ..

أنا لا أعرف يا (ريفاااات) حتى هذه اللحظة .. لكنى أوصيك خيرًا بجسدى لأنه ـ إن تلاشى ـ فقد انتهيت ، وهو ما سيحاول (جينغ ـ تشا) عمله ..

بدأت الرؤيا تذوب .. تتلاشى .. تترجرج كمياه بحيرة تحركها الرياح ..

(*) N. D. E. الحروف الأولى من عبارة (تجربة الدنو من الموت) .

ثم ساد الظلام ..

* * *

يا لك من إنسان ممل !..

أنت لا تقدم لى شيئًا مفيدًا سوى الظهور لى كل ليلة مرددًا أننى ينبغى أن أعمل شيئًا ما .. ثم تختفى دون إرشادات ..

* * *

- آلو ؟.. (رفعت) ؟
- أظن هذا ..
- لقد أنهينا التحليل .. لا يوجد سمّ معروف فى السائل الذى حللناه ..
- ومعنى هذا ؟..
- معناه أن عليك الاستمرار فى الغسيل الكلوى والمحافظة على تنفس الفتى ..
- ومعناه أن طريقنا مسدود تمامًا ..

* * *

وهكذا - ترون - قضيت أيامى فى حيرة بين مكالمات هاتفية لا طائل من ورائها .. وزيارات للمستشفى لا تجدى فتيلًا ..

لقد طالت غيبوبة الفتى .. طالت ..

ويبدو أننى سأعود إلى هوايتى الأصلية : الملل ..

تدريجيًا تقلّ زياراتى للمستشفى .. ودوامة الحياة تجرنى معها .. ، كان ذلك حين قابلت (براكسا) فتاة المقابر .. ولقد نجحت فى أن تنسينى الأمر برمته لمدة أسبوع كامل (إن هذه قصة لا بأس بها .. تذكرونى أن أحكيها لكم المرة القادمة ، ولكن دعونا لا نشتت أنفسنا هذه المرة) ..

على أننى - حين عدت للمستشفى - كنت أملك الحلّ .. وكان لذلك قصة طويلة ......

* * *



(جينغ – تشا) هنا !.. عرف ذلك بينما العجلة تستدير لتلحق به ..

السابعة عشرة – مساء اليوم الخامس من (ديلار) ..

(جينغ – تشا) هنا !..

عرف ذلك بينما العجلة تستدير لتلحق به ..

وثب إلى أعلى فمرت من تحته ، وفي هذه المرة لم يعد ثمة شيء .. لقد اختفى معسكر (الراموس) وتلاشى المخ العملاق المسمى بـ (الأب) .. لا يدرى أين ولا متى ذهبوا ، لكنه لم يعد يرى سوى الغبار الأحمر النارى .. والسماء التى كادت تمتلئ بالخيوط الزرقاء ..

العجلة تتوقف ثم تعود له .. وهو الآن وحيد .. وحيد ..

ومن طرف عينه استطاع أن يرى جزءًا منخفضًا من الغبار الأحمر .. جزءًا يبدو وكأنه يدارى حفرة عميقة ..

هو لا يدرى طبيعة هذا العالم ولا تضاريسه .. لكنه يملك فرصة ..

وقف وخلفه الحفرة ينتظر العجلة ..

ها هى ذى تقترب .. تقترب .. تقترب ..

لن يفرّ الآن .. سينتظر أكثر ..

اللهب والدخان يتناثر منها ، لكنه ثابت فى موضعه ..

حتى اللحظة الأخيرة .. كان هذا كافيًا .. وسرعان ما وثب فى الهواء ليدور دورتين على حين اندفعت العجلة - بالقصور الذاتى - لتسقط فى الجزء المنخفض من التربة مبعثرة الغبار الأحمر فى كل مكان .. ومعه الشرر والدخان ..

ثم غاصت غائبة عن عينيه ..

★ ★ ★

تنفس الصعداء ووقف يرمق المشهد .. فلم يكن كل هذا رديئًا ..

حين سمع صوت الضحكة الساخرة ..

هاهاهاها !.. هذه النبرة لا يمكن أن تخطئها أذناه ..

هاهاهاها !.. وأدار رأسه مجفلًا فوجد .. (جينغ - تشا) وقد عقد ذراعيه على صدره ووقف على بعد عشرين مترًا يرمق المشهد ويقهقه :

- هاهاها !.. إننا نمرح كثيرًا أيها (الزهرة الزرقاء) !..

(جينغ - تشا) خصمه العتيد ..

(جينغ - تشا) الذى أباد أساتذته وأسلم أسرارهم للأعداء ..

(جينغ - تشا) الذى ظل عقبة فى حياته منذ دخل الدير ..

(جينغ - تشا) السبب الرئيسى وراء كل مشاكله .. وعبر الأزمان ..

(جينغ - تشا) هنا .. معه فى هذا العالم الكابوسى ..

★ ★ ★

ضحك (جينغ - تشا) .. ضحك فرأى الكاهن الأخير قهقهاته تدور فى الهواء وتتحول إلى وطاويط حمراء اللون ترفرف ببطء حول رأس عدوه ..

- لم تزل بارعًا يا (هن - تشو - كان) !..

تصلب الفتى .. وتقدم ببطء وحذر من (جينغ - تشا) الذى لم يبدّل وقفته .. ولم يتحفز بل احتفظ بالبسمة المتهكمة الواثقة على ثغره :

- لقد تفاديت عجلة (بوذا) ببراعة .. لكن المباراة لم تنته ..

- (جينغ - تشا) !..

قالها من بين أسنانه بغلّ .. قالها بمقت .. قالها بحقد .. وأردف :

- كيف جئت إلى هنا وأنت ميت ؟.. أنا قتلتك !

- كذبت .. لكننى استجمعت قواى وقذفتك بالقنفذ الملىء بـ (السيرجانتا) ..

وهكذا نفيتك إلى هذا العالم ..

- (جينغ - تشا) !

قالها وكأنه يبصق .. لكن المذكور أعلاه لم يعبأ .. وواصل التفاخر :

- عدتُ لعالمنا وزمننا واستشفيتُ عدة أيام فى أحد الأديرة .. ثم رأيت فى المنام أنك قد وجدت طريقةً للعودة إلى عالم الأحياء .. لم أكن لأترك هذا يحدث .. وهنا خطر لى أن أتناول السمّ أنا نفسى .. لمَ لا ؟.. حين ألحق بك هنا سأعرف كيف أذيقك العذاب ألوانًا وكيف أتخلص منك إلى الأبد .. ثم أنا أملك (الشوكارا) .. هى معى .. وأعرف كيف أستعملها لأعود إلى عالم الأحياء متى فرغت منك ، أما أنت فلا حيلة لك فى الفرار .. أنت هنا تحت رحمتى ..

- (جينغ - تشا) !

قالها كأنما يقىء ما بمعدته ..

- نعم .. (جينغ - تشا) .. الذى تحالف مع الخان العظيم وقوى الشرّ فى (زانادو) لأنه (نافاراى) مثلك ، ويعرف ما يفلّ الحديد ..

- أنت لست (نافاراى) ولم تكنه قط ..

- ربما .. لكنى أعرف كل ما يعرفه (النافاراى) ، وقد زادنى هذا الكتاب قوة ..

وفى قتالنا القادم سيجد (الزهرة الزرقاء) أساليب لم تخطر له ببال ..

تلاقت العينان لدقائق .. رجلان يمقت بعضهما البعض منذ خمسة قرون ، وقد انسدل بينهما ستار أبدى من الكراهية ..

بعد هنيهة همس الفتى متسائلًا :

- لماذا سكن الحقد قلبك إلى هذا الحدّ ؟

- لم يسكن الحقد قلب (جينغ - تشا) لأن قلبه هو تنين الحقد ذاته .. جذوة الكراهية المقدسة ..

وارتجف صوته قليلًا .. وخفق صدره وأردف :

- كنت دومًا ضدى .. العقبة التى تحول بينى والنجاح .. منذ الصبا كانوا يقولون لى : أحسنت يا (جينغ - تشا) ، لكن (الزهرة الزرقاء) فعلها أفضل منك .. ليتك تغدو مثله .. ليتك تقلده فى كل شىء ..!.. هل تذكر ممر النيران الراقصة الذى حرمنى من أن أكون (نافاراى) ؟.. الأخ (ميانج) كان يعلمك كل شىء لأن (الزهرة الزرقاء كالأرض الخصبة التى لا تجحد جهود الفلاح) .. ألم يقل ذلك ؟.. ألم يفعل ذلك ؟

- لم يكن هذا ذنبى .. لا ذنب للزهرة فى أن يفضلها الناس على الأشواك .. وليس على الأشواك أن تحقد عليها ..

- أنت لست زهرة !!

صاح فى عصبية .. ثم استعاد رباطة جأشه :

ـ .. و (جينغ ـ تشا) ليس حفنة من الأشواك .. كلانا فى نفس العمر .. ونال ذات التعليم، ولكنهم اختاروك أنت .. أنت .. ، ثم تحالفت مع (الماهايانا) لأنتقم .. فإذا بك تفرّ بعيدًا حاملًا كل ثمار خيانتى .. لحقت بك هنا لأنتقم .. فإذا بك تقتل رجالى وتوشك على قتلى ..

ورفع عقيرته نحو السماء التى بدأ لون الدماء ينتشر فيها .. وصاح :

ـ لقد نضجت ثمرة الحقد فى صدرى ، ودنا قطافها ..! ..

غمغم (هن ـ تشو ـ كان) وهو يحاول أن يبدو متماسكًا :

ـ والآن .. ماذا تريد منى يا حليف الشياطين ؟

ضغط الفتى الموتور على أسنانه .. وهمس :

ـ إن كتاب (الشوكارا) معى هنا يا (هن ـ تشو ـ كان) ـ ملفوفًا حول خاصرتى .. وبدونه لا أمل لك فى الفرار ..

ـ أعرف هذا ..

ـ سنخوض قتالًا مريعًا .. القتال الأخير لنا .. والمنتصر سيحصل على الكتاب ويعود إلى دنيا الأحياء ، أما الخاسر فسيفنى فى كيان الخان .. إن جسدك يرقد فى حوزة صديقك عارى الرأس .. وجسدى يرقد فى عناية رهبان (الماهايانا) ..

وحين تنتهى مباراتنا سيلفظ أحد الجسدين أنفاسه لاحقًا بالأجداد .. فى حين يفتح الجسد الآخر عينيه ويتكلم ..

ـ والكتاب ؟.. كيف يعود به الرابح من أرض الكوابيس ؟.. بل كيف سافرت أنت به أصلًا ؟

ـ إن للكتاب وجودًا معنويًا وماديًا .. يمكنك أن تسافر به وتحلم به ..

بل هو يجوب عوالم الأحياء والأشباح بحرية مطلقة ..

ـ إذن يا (جينغ ـ تشا) ..

ـ إذن يا (هن ـ تشو ـ كان) ..

ـ فلينتصر صاحب الحق ..

ـ وليهلك واهن الجسد والقلب والعقل !..

....

* * *

الواحدة ـ ظهر اليوم الثمانين من (شينافو) ..

عندما تغرب الشمس ، وتتلطخ سماؤها ثوب المساء الأزرق .. عندئذ يبدأ فجر (النافاراى) ..

★ ★ ★

احمرّ لون السماء إلى درجة أنها بدت كبحيرة من الدماء .. وبالفعل بدأت قطرات لزجة حمراء تتساقط منها ..

بالواقع بدا وكأن الهواء نفسه صار أحمر اللون ..

وفى الأفق ترى المحاربين الجريئين يقفان وبينهما خمسة أمتار .. وقد شرع كل منهما يتأمل الآخر فى انتقاد ..

ثم إن (هن ـ تشو ـ كان) فتح ساقيه وثبت قدميه على الرمال الحمراء :

ـ تشا سارايانا !

دوّت الصيحة فارتج الهواء بها ، وتساقطت من السماء قطع من الزجاج الأزرق المهشم .. على حين اتخذ الأفق شكل ثعبان عملاق يتثاءب ..

ـ تشا سارايانا !

ردّ بها (جينغ ـ تشا) وهو يتخذ وضعًا مماثلًا .. ،

ومن جديد حلقت الوطاويط وانشقت الأرض لتخرج منها أمعاء عملاقة تتلوى محدثة قرقرة !..

فتح (هن ـ تشو ـ كان) ذراعيه إلى آخر امتداد لهما :

ـ جيانغ سارايانا !..

ـ جيانغ سارايانا !..

عشرات الأيدى المخلبية المتقلصة تشق الغبار الأحمر محاولة الوصول إلى أقدام المتحاربين ..

ـ كيو سارايانا !

قالها (هن ـ تشو ـ كان) وهو يعيد رأسه للوراء ..

ـ كيو سارايانا !..

قالها (جينغ ـ تشا) وهو يقلد ذات الوضع ..

إنها معركة النهاية بين الخصمين .. يخوضانها فى أرض الكوابيس (زانادو) حيث كل شىء ممكن ..

اليوم لن يكون هناك جريح ولا فارّ ..

فقط سيكون هناك رابح وخاسر .. حىّ وميت ..

الصراع بين الخير والشر فى أبسط صُوره وأكثرها تسطيحًا ..

★ ★ ★

أيها السادة .. ترون الخير على يمينكم يرتدى الأبيض والشر على يساركم يرتدى الأسود ..

إن أرض الملعب لعجيبة تزرى بأية لوحة سريالية لـ (دالى) أو (شاجال) .. والأغرب أنها تتبدل فى كل ثانية لتختلف تماما عن الثانية السابقة ..

لحظة يتضح لنا أن المتحاربين واقفان فوق عنق تنين غاضب ينفث النيران .. ثم فى اللحظة التالية نجدهما واقفين وسط المستنقعات تتصاعد حولهما أبخرة غاز (الميثان) على حين تزحف التماسيح نحوهما ..

الخير - (هن - تشو - كان) - يلتفت حوله فيجد وجوها مألوفة أثيرة إلى قلبه .. الأخ (ميانج) والكاهن الأكبر وكل عشيرة (النافاراى) عبارة عن وجوه معلقة فى الهواء ترمقه فى مودة ..

وعبر المساحات الشاسعة يرى جنود الخان على زواحفهم الشرسة ، يلوحون بألسنة اللهب .. وينتظرون نتيجة المباراة ..

وهنا أدرك - دون جهد - أن وجوه (النافاراى) التى يراها ليست سوى فرسان (الراموس) وقد انعكست عليهم صور من نفسيته ..

وتكلم الكاهن الأعظم .. تكلم بذلك الصوت اللزج .. صوت المخ (الأب) قائد الثوار .. قال :

- اضرب أيها المحارب .. إن هذا الرجل هو الخان .. هو الشرّ بعينه ولئن قتلته لغدوت حرًا !..

وقال الأخ (ميانج) بأسلوبه الرصين :

- لتكن لك خفة النمر وشراسة ذئب الثلوج ..

وفى اللحظة التالية انطلق (هن - تشو - كان) كالسهم نحو هدفه ..

* * *

لبضع ثوان لم يحدث شىء ..

لقد ظل الخير والشر يتحاوران .. يدوران حول بعضهما ..

كان كلاهما أستاذا فى التفادى ، وبدا الأمر كأن سمكتين صغيرتين تتملصان من يد عملاقة نست نفسها فى بحيرتهما ..

مئات الركلات يوجهها (هن - تشو - كان) لتصفر فى الهواء ، لكن (جينغ - تشا) يثب وينحنى ويتفاداها ..

يوجه - بدوره - مئات اللكمات التى يتملص منها (هن - تشو - كان) ..

ولكن - حين حدث الصدام الأول - التمعت السماء بضوء البرق .. ودوى هزيم الرعد .. ثم بدأ مطر من الجليد القرمزى فوق الرجلين ..

لقد أصابت قدم (جينغ - تشا) عنق خصمه فى نقطة (شورا) حساسة ..

وفى السماء انفجر وجه الأخ (ميانج) ليتطاير منه سرب من النحل ..

لكن الركلة عطلت توازن (جينغ ـ تشا) الفائق .. مما مكّن (هن ـ تشو ـ كان) من ضربه برأسه فى صدره ليسقط (جينغ ـ تشا) فوق الرمال ..

وتتالت ركلات (هن ـ تشو ـ كان) الرشيقة السريعة بمشط قدميه (اليمنى فاليسرى على التوالى) حتى انفجر الدم من فم (جينغ ـ تشا) ..

وببطء أدار رأسه ثم سقط ميتًا !..

صاح (هن ـ تشو ـ كان) فى هستيريا :

ـ سوان هاتشاه سارايانا !

ووثب نحو الجثة ليتفحصها .. حين سمع الضحكة .. قادمة من أعلى ـ الضحكة ـ لم يكن من الممكن ألا تكون لغيره .. (جينغ ـ تشا) !.. حقًا !.. هو كذا .. ولكن كيف ؟.. إنه جثة ملقاة على الأرض ..

هو ذا (جينغ ـ تشا) واقفًا على قمة الجبل يرمق المشهد فى ثقة وسخرية ، مستمتعًا بكل هذا :

ـ أنت بارع يا (هن ـ تشو ـ كان) .. لكنك كنت تقاتل سرابًا صنعه لك الخان العظيم !.. لم يكن ثمة ما يدعو لإضاعة جهدك بينما أنا هنا طيلة الوقت !



ووثب نحو الجثة ليتفحصها .. حين سمع الضحكة .. قادمة من أعلى الضحكة ـ لم يكن من الممكن ألا تكون لغيره ..

ورفع إصبعه أمام عينى (هن ـ تشو ـ كان) الذاهلتين ..
ـ يسمونه أسلوب (المرآة) .. ويهدف إلى استنزاف قدرات الخصم فى معارك وهمية مع أطياف .. إنه مأخوذ من (الشوكارا) ..
ـ من المؤسف أننى لم أجد وقتًا لدراسة (الشوكارا) .. كنت دائمًا مشغول البال بحمايتها وإخفائها ..
ـ أما (جينغ ـ تشا) فيحفظ كل حرف فيها ..
وفى اللحظة التالية وثب خمسة من (جينغ ـ تشا) على (هن ـ تشو ـ كان) !
كلهم متماثلون .. كلهم حانقون .. كلهم سريعو الحركة كالبرق ..
ـ هذا تطبيق أوسع لأسلوب (المرآة) أيها الكاهن الأخير .. من منهم هو أنا ؟!..
بالتأكيد (جينغ ـ تشا) هو الواقف على الجبل .. ولكن .. لماذا بالتأكيد ؟.. ربما هى صورة خادعة بينما (جينغ ـ تشا) الحقيقى هو ....
كانوا يتحركون برشاقة جميعًا .. وحركاتهم متناسقة كرقصة مدروسة .. اثنان يتراجعان بينما يهاجمه ثلاثة .. ثم يتراجع اثنان وينقض ثلاثة .. ثم يختفى واحد ليظهر وراء ظهر (هن ـ تشو ـ كان) فى الثانية التالية ..

كان يتفادى كل هؤلاء .. لكنه لم يعرف قط أين يوجه ضربته ..

★ ★ ★

أنت فى (زانادو) أيها المحارب .. فلا تثق بعينيك .. ثق بعقلك .. ثق بغريزتك ..

★ ★ ★

يا له من مأزق !
كل ضرباتك بلا جدوى فلا ترتطم سوى بوهم .. ، وأنت لا تجرؤ على الوقوف ساكنًا وانخار قواك لأن أحدهم قد يكون هو ....
المشكلة أن الغبار الأحمر يتبعثر تحت أقدامهم جميعًا .. وكلهم يتركون ظلًا ..
فما هو الحلّ إذن ؟..
ثق بغريزتك .. ثق بغريزتك ..
غريزتك تقول إن كل هؤلاء أطياف .. ليس خصمك واحدًا منهم ..
إذن توقف ..
دعهم يهاجموك ..
ولنر النتيجة ..

★ ★ ★

الثامنة ـ صباح اليوم الثالث عشر من مايو ..

كنت منهكًا بعد عناء مغامرتى مع (براكسا) ..

وكنت مُلقى ـ كالوسادة ـ فوق فراشى حين ولول جرس الهاتف ، فهرعت مترنحًا لأرد وأنا أشعر كأنى لم أفق بعد من عالم الحلم ..

ـ مريضك الآسيوى ..

ـ هل مات أخيرًا لحسن حظى ؟

ـ كلا .. هو يتلوى كالدودة ويئن محاولاً تمزيق الخراطيم ، وقد اضطررنا إلى ربطه فى الفراش ..

ـ وهل تتهمنى بأننى السبب ؟

ـ بل ظننت أن الأمر يهمك..

ـ إنه يهمنى .. شكرًا لك ..

ـ آ .. بالمناسبة .. مشرفة التمريض تذكرك بتأمين العناية المركزة !

.... كليك ! ......

ما الذى يحدث للفتى ؟.. لقد كفَّ عن الاتصال بى فى المنام منذ أسبوع تقريبًا .. ولا أدرى ما دهاه .. ولا أعلم أى تقدم حققه ..

كانت جثة القط بعد فى موضعها فى العلبة الورقية ، وكنت أعلم أن المسكين سيموتُ جوعًا حتى إن لم تقتله الفيبوية ، لهذا كنت أقدم له وجبات منتظمة من اللبن عبر محقن وأنبوب بلاستيكى صغير أدخلته من فمه إلى أمعائه ..

هذه هى الطريقة الوحيدة التى وجدتها لأننى بالطبع لن أعطيه سوائل وريدية ..

كان حيًا .. حيًا كأفضل ما يكون ....

لكن جثته بدأت ترتجف وكأن الكهرباء تسرى فيها .. ترتجف .. ترتجف ..

تراجعت للوراء وقد أدركت أن شيئًا ما ليس على ما يرام ..

شيئًا شريرًا يحدث بالتأكيد .....

* * *

الثالثة – فجر اليوم السادس من (هوردام) ..

كان حدسه صائبًا ..

فلم تؤثر فيه ضربات أى من المحاربين الخمسة .. ، وبدأ يفهم أنهم جميعًا أطياف وهمية .. أما آثارهم على الرمال وظلالهم فجزء من الوهم ..

وهكذا سار بينهم فى تؤدة يتلقى ركلة هذا ولكمة ذاك دون تأثير يُذكر ..

سوى – بالطبع – بعض الاضطراب الغريزى الذى يحاول دفعه للاختباء ..

ولكن .. أين (جينغ – تشا) الحقيقى ؟

★ ★ ★

أسلوب الحرباء :

ابتدعه المعلم العظيم (شو – هان – كه) فى عام التنين المائة .. وبه يستطيع محارب (النافاراى) أن يسمح للنور بالمرور من أعضائه .. ويغدو شفافًا لا يراه العدو .. يحتاج لساعات طوال من التأمل ..

تلقى (هن – تشو – كان) الضربة على ضلوعه فأنّ وسقط أرضًا ..

لم يحتج لكثير جهد كى يعرف أنها حيلة جديدة من (جينغ – تشا) تجعله غير مرئى ..

إن كتاب (الشوكارا) لخطير بحق !.. كل هذه الأساليب الجهنمية فى يدى شيطان مثل (جينغ – تشا) .. الويل !..

شرع يتقلب فى الرمال الحمراء بحركات عشوائية محاولًا تفادى ضربات لا يراها .. ثم نهض .. وأخذ يدور حول نفسه فى توتر ..

انهالت الصفعة على قفاه ، فاستدار ليوجه ركلة إلى ما حسبه مصدرها ..

وطبعًا لم يكن هناك سوى الفراغ ..

غلت دماء كرامته .. وفار بركان غضبه ..

وفى اللحظة التالية رفع قبضتيه إلى جانبيه وقدمه اليسرى إلى خاصرته ..

ثم دار بسرعة البرق حول نفسه عدة دورات ، وبنفس السرعة مسح الاتجاهات الأربع .. حتى .....

اصطدمت قدمه – فى رقصة الباليه الدموية هذه – بشىء طرى أدرك أنه أسفل بطن خصمه الخفى .. وسمع الصرخة الدامية ..

اخضرت السماء .. وتحولت إلى كتلة من الديدان الملتوية فى حين برزت عين عملاقة محملقة من التربة

الحمراء .. ، وعلى الأرض تمدد (جينغ ـ تشا) يئن بعد ما صار مرنيًا وقد أفقده الألم قدرته على التركيز ..

هتف (هن ـ تشو ـ كان) فى انتصار ، وهو يلهث :

ـ يسمونه أسلوب (المحراث) يا (جينغ ـ تشا) .. ويصلح لمنع عشرة رجال من مهاجمتك إذا كنت ضريرًا .. أحسب أنك لا تعرفه ؟

تلوى الفتى كالثعبان حول نفسه .. ثم هتف :

ـ واآآآه !.. لا أعرفه .. واآآآه !.. لقد كنت سريعًا كفهد جريح ..

ـ (النافاراى) يرث سرعة البرق من أمه الطبيعة ..

ـ لكنى سأدبرك أيها الزهرة الزرقاء !..

* * *

أسلوب (الزلزال) :

ابتدعه المعلم الحكيم المقدس (شاشكين ـ كوا) فى عام القنفذ العاشر ..

وبه يستطيع محارب (النافاراى) أن يذهل خصمه ويزلزل حواسه بمجرد إطلاق صرخة وحشية عالية ..

وصرخ (جينغ ـ تشا) .. صرخ كأفضل ما يكون ..

اهتزت السماء الحمراء وانكسر جزء منها كاشفًا عن ثغرة تتسرب منها مياه البحر الزرقاء إلى هذا العالم ..

كانت صرخة عاتية مريرة طويلة مُمزقة مُزلزلة مُحطمة ..

وأحس (هن ـ تشو ـ كان) أنه يغوص فى الأرض .. وأن يديه تزنان أطنانًا .. لكنه لن يغيب عن الوعى .. حتمًا لن يغيب عن الوعى ..

يحتاج (جينغ ـ تشا) لأساليب أقذر من هذه كى يقهره ..

* * *

أسلوب (البندول) :

ابتكره الأستاذ (تشى ـ وا ـ صن) فى عام التنين العاشر بعد المائة .. وبه يستطيع محارب (النافاراى) أن يصيب خصمه بالدوار عن طريق الحركة الرحوية السريعة مع الاهتزاز صعودًا وهبوطًا .

أخذ (جينغ ـ تشا) يمارس هذا الأسلوب مع خصمه .. ولم يستطع الكاهن الأخير أن يصدّق كل هذه البراعة وسرعة الحركة ..

دار رأسه ومعه دار العالم .. وتحول الأفق إلى بئر عميقة .. حاول أن يغمض عينيه ، لكنه ظل مشدودًا مسحورًا إلى المشهد .. مشهد الدوامة التى تدنو منه وتنأى .. تروح وتجىء .. كلا !.. لا تستسلم !.. أرجوك ..

وأخيرًا استجمع قواه واندفع صارخًا إلى مكان فارغ جوار الدوامة ..

ووجه أعنف ركلة وجهها فى حياته .. وبعد ربع ثانية طار (جينغ ـ تشا) فى الهواء الأحمر ليسقط على الرمال متلويًا .. وسقط (هن ـ تشو ـ كان) إلى جواره .. وسمع صوت (جينغ ـ تشا) المتحشرج يتساءل :

ـ كيف فعلتها ؟

ـ الصياد لا يطلق سهامه على موضع الطائر المحلق .. بل على الموضع الذى يقدر أن الطائر سيكون فيه حين تصله السهام !

ولكن .. لماذا يضيع فرصته ؟.. لماذا يثرثر ؟..

ها هى ذى فرصته سانحة .....

* * *

تغلى حمم البراكين .. تشتعل الأشجار فى غابات (التايجا) .. ينفجر النجم الأحمر .. تفحّ الأفعى .. يزأر النمر وينقضّ .. يتهشم الجبل .. معًا .. حين يكوّر الكاهن الأخير قبضته ، ويهرع نحو خصمه الساقط على الأرض لينهى قتالًا طال ..

يا أرواح الأجداد المقدسة استرقى النظـر .. وأصغى .....

يا كل محاربى (النافاراى) .. تعالوا لتروا .....

حين تصل هذه القبضة إلى هدفها سيكون (جينغ ـ تشا) كتلة من العظام المهشمة .. وستروى دماؤه رمال (زانادو) الحمراء ..

وعلى طريقة (النافاراى) برز الإصبع الوسط والإبهام من القبضة لتحاكى رأس الكبش البرى ، فيكون تدميرها قاتلًا ..

ليس من شيم (النافاراى) مهاجمة خصم راقد على الأرض .. لكن الرأفة حمق إذا تعلق الأمر بالأفاعى .. و (جينغ ـ تشا) أفعى ..

* * *

الضربة عنيفة .. عنيفة ..

تناثرت أشلاء جنود الخان فى الفضاء .. وانفجرت العين الجاحظة من الأرض .. واشتعل الأفق بالنيران ..

وعلى الأرض سقط (جينغ ـ تشا) غارقًا فى العرق والدم ..

هرع (هن ـ تشو ـ كان) إليه كى يفتش ثيابه بحثًا عن كتاب (الشوكارا) ..

انحنى جواره راكعًا على التراب الأحمر وشرع يبحث .. لابد أنه موجود معه .. لا يمكن لمحارب (نافاراى) ـ أو

من يعرف أسرارهم ـ أن ينتقل دون أن يحمل الكتاب معه .. لابد أن ....

ـ والآن ... أيها (الزهرة ....) ..

كان هذا هو (جينغ ـ تشا) الذى استجمع قواه .. فجلس على حين غرة وقد قبض بأنامله على حنجرة (هن ـ تشو ـ كان) .. قبضة مخلبية لا فكاك منها تكاد تنتزع الحنجرة انتزاعا ، وشعر الكاهن الأخير بساقى خصمه تلتفان حوله لتثبتاه فى موضعه ..

طوح بذراعيه يمينًا ويسارًا محاولًا عمل شىء ما ..

لكن الفتى كان صلبًا برغم كل شىء .. وكان بعيدًا عن مجال الضربات ..

ـ غاااااه !

ـ هذه .. هى ... لـ .. لعبتى الأخيـ ... ـرة .. إن حـ .. حنجرتك لى !

قالها وهو يواصل الضغط بأصابع لا تقهر على حنجرة (هن ـ تشو ـ كان) ..

وعلى وجهه ابتسامة صفراء قاسية .. كان ينزف .. ويلهث .. لكن الحقد كان يحرك بقاياه كما تظل العربة مندفعة بعد موت الحصان الذى يجرّها ..

ـ غاااااه !.. غاااااه !

* * *

العاشرة ـ صباح اليوم الثالث عشر من مايو ..

ـ غاااااه !.. غاااااه !

ماذا دهاه ؟.. افعلوا شيئًا !.. لربما انسدت أنبوب القصبة الهوائية .. أو حدث عطل فى جهاز التنفس .. لا تقفوا هكذا كشواهد القبور ..

هرع د. (منير) يتفحص الأجهزة والوصلات .. ثم هزّ رأسه ألا مشكلة هنالك .. لا يوجد تفسير لكل هذا ..

ـ إذن فهذا كابوس ؟

ـ حتمًا ..

ـ لكن الكابوس لا يسبب ازرقاق الشفتين ..

هزّ د. (منير) رأسه فى سأم .. وغمغم :

ـ إن كل ما يحدث غريب وغير معتاد ، ولا يمت للطب بصلة .. فلن أدهش إذا ما طار هذا الفتى أو بدأ ينهق كالحمير ..

ثم نظر إلى الطبيبين الجالسين جواره .. وتساءل وهو ينهض ..

ـ هل كل شىء معد لجلسة الغسيل الكلوى ؟

ـ كل شىء ..

ـ إذن هيا بنا .. ولنأمل ألا تحدث كارثة ما .. إنها المرة الثالثة ويعلم الله وحده ما قد تجلب علينا ..

* * *

السادسة عشرة – ظهر اليوم المائة من (فالتارى) ..

لقد بدأ الوجود يظلم ..

إنها النهاية يا (هن – تشو – كان) .. فاستسلم ..

ولم يدر متى سمع الزئير .. ولم يدر معناه حين سمعه ..

لكنه حين سمع صراخ (جينغ – تشا) الشنيع .. أدرك أن شيئًا ما يحدث ها هنا ..

وبدأت الكلابة الحديدية تتخلى عن حنجرته ..

وعاد الضوء إلى الكون ..

عندها فتح عينيه ببطء فرأى (جينغ – تشا) متكفئًا على وجهه غارقًا فى الدماء بينما يده المتقلصة ما زالت على عنق (هن – تشو – كان) ..

أما الذى كاد يوقف الدم فى عروقه فهو النمر ..

النمر العملاق ذو الأنياب الذى وقف جوار جثة (جينغ – تشا) يلعق شفتيه وأنيابه السيفية بلسانه ..

لقد أجهز على الفتى إذ عضه فى خاصرته .. وبالتالى أنقذ حياة (هن – تشو – كان) .. أنقذها فى آخر لحظة ..

كان النمر عملاقًا .. عيناه كجمرتى نار .. لكنه كان ساكنًا يقف فى رصانة وتؤدة كأنما هو فخور بما فعله ..

وببطء نهض (هن – تشو – كان) وزحف على ركبتيه متوقعًا أن يثور الوحش .. لكن هذا الأخير ظل ساكنًا يرمقه فى لا مبالاة ..

جوار جثة (جينغ – تشا) تربّع .. ومدّ يده بين طيات الثياب باحثًا عن ضالته .. ها هو ذا الحزام السميك .. وبداخله ......

أخيرًا !.. كتاب (الشوكارا) فى يده ..

لقد تلوّث بالدماء لكنها ظلت على حواف الصفحات لحسن الحظ ..

أما المفاجأة الأروع فكانت قنينة صغيرة تشبه الأنبوب ..

قنينة تحوى سائلًا أزرق اللون عطر الرائحة ..

بالتأكيد ليس هذا سمًا .. إن (جينغ – تشا) لا يملك تحضير المصل المضاد لـ (السيرجانتا) فى هذا العالم ..

وبالتالى فمن المنطقى أنه أعده مسبقًا ليحمله معه إلى (زانادو) ..

ولما كانت ثيابه لا تحوى سوى هذه القنينة فبالتأكيد هى المطلوبة ..

وهنا بدأت جثة (جينغ – تشا) تتشقق .. وبدأ الطحلب يخرج من شقوقها معلنًا نهاية الكابوس ..

تلفت حوله فوجد فرسان (الراموس) والمخ (الأب) واقفين .. وسمع (الأب) يقول بصوته المتحشرج اللزج :

ـ أحسنت أيها المحارب .. قهرت أعتى جنود الخان .. الجندى الذى لم يكن قط وهمًا وكان يملك أن يغير كل شىء !..

ـ وهذا النمر المفترس .. إنه ليس وهمًا .. لكن من أين جاء ؟

سمع صوت الحشرجة المريع فأدرك أن (الأب) يضحك :

ـ هاااف !.. هاااف !.. أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث لا تصدق كل ما تراه .. هذا النمر ـ الذى أراه أنا عنقاء ضخمة ـ ليس سوى أخيك القط الذى لحق بك من عالمك ..!..

ـ مستحيل !.. لقد نسيه قلبى طويلًا.. ولكن كيف استطاع أن يقتل (جينغ ـ تشا) ؟

ـ أنت لا تدرى كيف رآه .. ربما رآه تنينًا أو غولًا عملاقًا ..

ـ ولكن كيف يقتله ؟

ـ أنت فى (زانادو) أيها المحارب حيث تُسيل الأوهام الدماء كما تسيلها الحقائق !

* * *

العاشرة والنصف ـ صباح اليوم الثالث عشر من مايو ..

مرة أخرى تعاود الأجهزة هديرها محاولة تنظيف دم الفتى ..

وكنت أنا أدخن كدبّابة من مخلفات الحرب العالمية .. ، وأجلس إلى جوار د . (منير) نتأمل المشهد ..

وإلى جانبى العلبة الورقية حيث يواصل القط سباته القلق الملىء بالكوابيس .. لم تعد هذه العلبة لتفارقنى بعد اليوم ..

ونظرت إلى ساعتى .. العاشرة والنصف .. لا أدرى ما سرّ اللهفة التى تنتابنى وكأنى بحاجة إلى اللحاق بموعد نسيته تمامًا ..

غريب هذا !...

* * *

الثالثة ـ صباح اليوم العاشر من (أفيانتا) ..

أخيرًا .. عاد اللون الأسود المحبب للسماء وعاد العنكبوت العملاق ينسج خيوطه .. وعلى الرمال الحمراء وقف (هن ـ تشو ـ كان) وسط فرسان (الراموس) يمسك بيده القط الصغير الذى لم يعد يراه سوى قط صغير ..

ـ والآن ابدأ التجربة ..

قالها المخ العملاق .. وكان (جينغ ـ تشا) قد تحول إلى كتلة من الطحالب الزرقاء عند قمة المحارب الأخير ..

فى حذر رفع (هن ـ تشو ـ كان) القارورة .. وفتحها .. ، ومدّ إصبعه الإبهام فى فم القط متجاهلًا أنيابه .. وسكب السائل فيه .. قطرات معدودة ..

كان لابد أن يجرب ..

فمن أدراه ـ برغم كل شىء ـ أن هذه ليست حيلة أخيرة من (جينغ ـ تشا) ؟..

ولثوان طفق ينتظر .....

بدأ القط يتلاشى .. جسده يبهت بالتدريج .. فجأة لم يعد هناك ..

وأدرك (هن ـ تشو ـ كان) أن الترياق ناجع ..

لقد عاد وعى القط إلى عالم الأحياء .....

* * *

الحادية عشرة ـ صباح اليوم الثالث عشر من مايو ..

غريب هذا !.. لقد فتح القط عينيه !..

إن هذا مذهل .. إنه ينهض .. يثب من الصندوق .. يمط أقدامه ويكوّر ظهره ويتثاءب بعنف كأنما يحاول انتزاع لسانه من مكانه !..

أصابنى البكم أنا و د . (منير) وشرعنا نرمق المشهد فى بلاهة ..

ـ من أتى بهذا القط ها هنا ؟

دوّى صوت مشرفة التمريض إياها وقد هالها أن ترى قطًا فى العناية المركزة التى تديرها ، صرخت فى هستيريا وولولت .. ثم إنها صاحت ما إن رأتنى :

ـ إنه ملكك ، أليس كذلك ؟.. تمتنع عن دفع تأمين العناية المركزة لمدة أسبوع ثم تتسلى بإحضار القطط الضالة معك ؟.. إن هذا لا يطاااااااااااق !.. هى ى ى !

وانفجرت فى البكاء الهستيرى .. وتهالكت فوق مقعد جلدى تنعى طالعها ..

أما أنا فكنت شارد الذهن عن كل هذا .....

كنت فى (زانادو) .....

* * *



غريب هذا !. لقد فتح القط عينيه !.. إن هذا مذهل .. إنه ينهض ..

الواحدة ـ مساء اليوم الثالث من (كامبوس) ..

حانت لحظة الحقيقة ..

فى صمت يرفع (هن ـ تشو ـ كان) القنينة إلى فيه ..

وبحذر يجرع الجرعات الأولى من السائل ..

كان عطر المذاق حادًا قليلًا .. وأحس بدوار خفيف ، لكنه تجاهله وفرغ من باقى الجرعات .. ورفع عينيه ليرى الخواء من حوله ..

ساد الصمت .. لا شىء سوى صوت لهاثه ......

الكتاب فى يده اليسرى والقنينة فى اليمنى .. وآلام الترقب ...... ثم ......

* * *

الحادية عشرة والربع ــ صباح اليوم الثالث عشر من مايو ..

وحين فتح عينيه ..

وحين ارتجفت شفتاه .. وحين تحرك رأسه واختلجت يداه ..

وحين هرعت ملهوفًا إلى الحجرة لأنتزع أنبوب القصبة الهوائية ..

وحين فرغ من سعاله ودموعه .. وجلس فى الفراش يرتجف ..

عندئذ أدركت أن (هن ــ تشو ــ كان) قد عاد إلى عالمنا ..

انتصر المحارب الأخير على الغيبوبة .. وعالم الأوهام ..

كان فى يده كتاب (الشوكارا) .. لا أدرى متى ولا كيف قبض عليه ..

وفى اليد الأخرى قنينة صغيرة خاوية ..

أما أول ما قاله فكان بلغته التى لا أعرفها .. لكننى فهمته لأنه لا محل لكلمة أخرى تقال فى هذا الموقف ..

ــ أين أنا .... ؟

....

* * *

خاتمــة ..

انتهت أسطورة (النافاراى) !..

انتهت قصة المحارب الذى عبر خمسة قرون وآلاف الأميال كى يجىء إلى عالمنا .. وعبر حاجز الواقع كى يصل إلى أرض الكوابيس ..

حقًا لا أعرف الحقيقة ..

هل (زانادو) و (الأب) و (الراموس) وصراعه مع خصمه .. هل حدث كل هذا حقًا أم هى مجرد هلوسة انتابته فى غيبوبته وحكاها لى ؟

هل ما أعاده لدنيانا قنينة الترياق أم الغسيل الكلوى الذى أجريناه ؟

لكن عندى دليلين هامين على صدقه ..

الدليل الأول : هو إقحامه للقط فى القصة .. وهو لا يعرف أن هناك قطًا ..

الدليل الثانى : أننى وجدت الكتاب فى يده حين أفاق ..

لقد كان (هن ــ تشو ــ كان) فى عالم مواز غريب يمكن أن يحدث فيه كل شىء وأى شىء ..

لكنه أثبت أنه الأفضل كالعادة .. والأكثر براعة وتوفيقًا ..

والأهم أنه لم يعد يخشى أحدًا فى عالمنا الذى صار آمنًا تمامًا ..

إننى سعيد بهذه النتيجة لأننى ـ أعترف ـ وقعت فى هوى هذا الفتى الشريف الباسل كأبطال الأساطير الإغريقية .. ، وقعت فى هواه برغم فاتورة المستشفى التى دفعتها بالكامل وتسببت فى خراب بيتى .. ففى لحظة الدفع لا تجد واحدًا من أية سفارة آسيوية يعرض خدماته الثقافية ! ..

وبعد فترة نقاهة لا بأس بها ، عاد (هن ـ تشو ـ كان) للإقامة معى فى دارى .. ، وكان أن قابل الملحق الثقافى الصينى معى وأفهمه أنه من مواطنى (التبت) .. وأنه تربّى فى (مصر) ويريد أن يعمل فى سفارة (الصين الشعبية) .. وأنه ـ بالطبع ـ لا يملك أوراقًا تؤيد كلامه !

وقد كان ..

وأنتم تذكرون دون شك أن الفتى كان يعمل مترجمًا فى تلك السفارة ، لأن عربيته لم تكن سيئة على الإطلاق فى تلك الآونة ..

ووجدت له مسكنًا لا بأس به ، ونجحت فى جعله يذوب وسط مواطنيه الذين لا يتخيل أحدهم أى سرّ يطويه الفتى تحت ثيابه العصرية الأنيقة وأدبه الجمّ ..

لا أنصح أحدكم باستفزازه .. فهو مسالم جدًا ، لكنك لا تدرى متى يقرر أن يستخدم أسلوب (الساراياتا) .. عندئذ أنت الملوم ولا أحد غيرك ..

بعد ذلك بفترة كانت له مغامرة لا بأس بها مع وحش وطنه رجل الثلوج (المى ـ جى) .. ذكرونى أن أحكيها لكم يومًا ما .. ماذا تقولون ؟..

حكيتها فى الكتيب الثانى عشر ؟!.. معذرة !.. يبدو أن تصلّب الشرايين قد نال من ذاكرتى بالفعل ..

على كل حال لم تنته ذكرياتى مع (هن ـ تشو ـ كان) ، وسأحكى لكم المزيد إذا راقت لكم حكاياته ..

والآن نعود للحديث عن الأحداث الكابوسية التى عشتها فى ذلك الأسبوع الذى سبق عودة (هن ـ تشو ـ كان) لعالمنا .. الأحداث التى كادت تنسينى كل شىء عن الفتى ، بل وكادت تودى بحياتى فى الواقع ..

إن الحديث عن المقابر محبب للنفس .. نفس الأشباح على الأقل ..

وقد كانت (براكسا) تحب الحديث عن المقابر .. وكنت أنا ....

ولكن .. معذرة ....

إن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل

القاهرة

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الناظراى

لانريد ضوضاء ..
لانريد صخبا ، لانريد
صرخات هلع ولاهتافات
استحسان .. إن الكاهن الأخير يخوض
آخر معاركه ، ويحتاج إلى أكبر قدر من
التركيز . خذوا مقاعدكم ياسادة
وانكمشوا فيها .. لأن هزيمة الكاهن
الأخير تعني نهايتنا نحن ..
لانريد صفيرًا .. لانريد سوى
الصمت البليغ ..



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة حسناء المقبرة

الثمن في مصر ١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع